الثقة في رزق الله من الإيمان

التوحيد

تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية • العدد ٥٥٠ السنة السادسة والأربعون - شوال ١٤٣٨ هـ

الثمن ٣ جنيهات

نتيجة مسابقة البحوث الإسلامية



انقضاء رمضان وعيد المسلمين



- وجوب إحسان الظن بالله تعالى وأهميته
- أهل السنة عند أهل السنة
- حال المسلم بعد رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾

صاحبة الامتياز
جماعة أنصار السنة المحمدية

رئيس مجلس الإدارة
د.عبد الله شاكر الجنيدي

المشرف العام
د. عبد العظيم بدوي

اللجنة العلمية
جمال عبد الرحمن
معاوية محمد هيكل
د.مرزوق محمد مرزوق
محمد عبد العزيز السيد

السلام عليكم

آداب العيد

١- يستحب الغسل، والتطيب والتزين للعيد. ولا تتطيب المرأة عند خروجها، وتحتشم في ملابسها. وليعلم الجميع أن الله تعالى ناظرٌ إليه، فلا يراك إلا على طاعة.

٢- ويستحب أن لا يخرج صباح يَوْم الْفِطْرِ حَتَّى يَأْكُلَ تَمَرَاتٍ، وَيَأْكُلُهُنَّ وِتْرًا.

٣- ويستحب مخالفة الطريق في الذهاب إلى المصلى والعودة منه.

٤- تستحب التهنئة يوم العيد، فيقول بعضهم لبعض: تقبل الله منا ومنك.

٥ - زيادة الصدقات في العيد، لقول النبي صلى الله عليه وسلم يوم العيد: «تَصَدَّقُوا تَصَدَّقُوا تَصَدَّقُوا»، وَكَانَ أَكْثَرَ مَنْ يَتَصَدَّقُ النِّسَاءُ.

٦- إظهار الفرح والسرور، ويباح اللعب واللهو المباح، والتوسع في الأكل والشرب، وغير ذلك مما يُدخل البهجة في النفوس. وليس من الفرح والسرور زيارة المقابر في هذا اليوم، وتجديد الأحزان، ومخالفة الهدي النبوي.

٧- اجتناب المعاصي يوم العيد، وإن كان ترك المعاصي في غير أيام العيد مطلوبًا، غير أنه في أيام العيد أكثر تأكيدا؛ لأنها أيام مغفرة.

٨- العيد فرصة لصلة الأرحام العامة والخاصة، فالرحم العامة هم المسلمون جميعًا، والرحم الخاصة هم القرابات.

تقبل الله منا ومنكم صالح الأعمال.

التحرير

التحرير
٨ شارع قولة عابدين - القاهرة
ت: ٢٣٩٣٦٥١٧ - فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢
البريد الإلكتروني
MGTAWHEED@HOTMAIL.COM
رئيس التحرير:
GSHATEM@HOTMAIL.COM
قسم التوزيع والاشتراكات
ت: ٢٣٩٣٦٥١٧
ISHTRAK.TAWHEED@YAHOO.COM
المركز العام:
هاتف: ٢٣٩١٥٥٧٦-٢٣٩١٥٤٥٦
WWW.ANSARALSONNA.COM

تنويه

إلى الإخوة مشتركي مجلة التوحيد بمصر: يرجاء مراجعة مكتب البريد التابع لكم، والاتصال بقسم الاشتراكات في حالة عدم وصول المجلة، والإبلاغ عن اسم مكتب البريد التابع له المشترك؛ للتواصل مع المسئولين في هيئة البريد، وبحث الشكوى؛ لضمان وصول المجلة للمشترك في موعدها

والله الموفق

رئيس التحرير:

جمال سعد حاتم

مدير التحرير الفني:

حسين عطا القراط

سكرتير التحرير:

مصطفى خليل أبو المعاطي

الإخراج الصحفي:

أحمد رجب محمد

محمد محمود فتحي



في هذا العدد

ثمن النسخة

مصر ٣٠٠ قرش ، السعودية ٦ ريالات ، الإمارات ٦ دراهم ، الكويت ٥٠٠ فلس، المغرب دولار أمريكي ، الأردن ٥٠٠ فلس، قطر٦ ريالات ، عمان نصف ريال عماني ، أمريكا دولاران ، أوروبا ٢ يورو

الاشتراك السنوي

١- في الداخل ٥٠ جنيهاً بحوالة فورية باسم مجلة التوحيد . على مكتب بريد عابدين ، مع إرسال صورة الحوالة الفورية على فاكس مجلة التوحيد ومرفق بها الاسم والعنوان ورقم التليفون.

٢- في الخارج ٣٠ دولاراً أو ١٠٠ ريال سعودي أو مايعادلهما.

ترسل القيمة بسويفت أو بحوالة بنكية أو شيك على بنك فيصل الإسلامي فرع القاهرة . باسم مجلة التوحيد . أنصار السنة حساب رقم / ١٩١٥٩٠

مطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر

وجوب إحسان الظن بالله تعالى وأهميته

بقلم/ الرئيس العام
د/ عبدالله شاكر الجنيدي

الحمد لله على فضله وإحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، والصلاة والسلام على النبي وأصحابه وآله، وعلى من تبعهم بإحسان واقتفى أثرهم إلى يوم الدين، وبعدُ:

فها هو شهر رمضان قد انصرمت أيامه، وانتهت لياليه، وقد فاز الراكعون، العابدون الخاشعون الصائمون، وفي هذا الشهر من كلِّ عام يتنافس المتنافسون من أصحاب الهمم العالية، ومن وُفِّقوا للطاعة والعبادة، أسأل الله سبحانه وتعالى أن يتقبل من الجميع الصيام والقيام وصالح الأعمال.

والمؤمن الصادق في إيمانه يتطلع إلى قبول عمله، وينتظر عليه الأجر من ربه، ولهذا رأيت من المناسب أن أتكلم عن إحسان الظن بالله تعالى، فأقول وبالله التوفيق:

إحسان الظن بالله تعالى من الأعمال القلبية التي تعكس صدق التوحيد عند صاحبه، وسلامة معتقده في خالقه، وهو يرجع إلى تعلق القلب بالله، محبةً ورغبةً، وخوفًا ورهبة، مع التوكل على الله، وتفويض الأمور إليه بعد الأخذ بالأسباب الشرعية، وذلك أن مدار حُسْن الظن بالله تعالى قائم على معرفة الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلى؛ لأن العبد إذا أيقنَ بسعة عفو الله ورحمته، وأنه سميع قريب أثمر ذلك في قلبه حسن ظنه بربه.

يقول ابن القيم: «والأسماء الحسنى والصفات العلا مقتضية لآثارها من العبودية والأمر اقتضاءها لآثارها من الخلق والتكوين، فعلم العبد بتفرد الرب تعالى بالضر والنفع، والعطاء والمنع، والخلق والرزق، والإحياء والإماتة؛ يثمر له عبودية التوكل عليه باطنًا، ولوازم التوكل وثمراته ظاهرًا». (مفتاح دار السعادة ٢/٤٤٢).

ويمكن أن يستدل على ذلك بفعل أم موسى بوليدها، فهي حينما خافت عليه أمرَها ربها بإلقائه في اليم، فاستجابت لذلك ثقةً في الله تعالى وحُسنَ ظنٍّ به، ولولا ذلك لم تفعل ذلك بطفل رضيع، ولذلك أقول: إن من قام بقلبه حقائق معاني أسماء الله وصفاته وفهمها على الوجه اللائق بها كان عنده من حسن الظن بالله ما ليس عند غيره؛ لأن هذا يحمله على إتقان العمل وصدق العبودية.

يقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «يجب أن يظن

بالله أحسن الظن، لكن بشرط أن يوجد لديك السبب الذي يوجب الظن الحسن، وهو أن تعبد الله على مقتضى شريعته مع الإخلاص، فإذا فعلت ذلك فعليك أن تظن أن الله يقبل منك، ولا تسئ الظن بالله بأن تعتقد أن الله لن يقبل منك، وكذلك إذا تاب الإنسان من الذنب فيحسن الظن بالله أنه يقبل منه، وأما إن كان الإنسان مفرطًا في الواجبات، فاعلاً للمحرمات، وظن بالله ظنًا حسنًا، فهذا هو ظن المتهاون المتهالك في الأماني الباطلة، بل هو من سوء الظن بالله؛ إذ إن حكمته تأبى مثل ذلك». (القول المفيد ٢/٣٨٣).

وهذا كلام دقيق ونفيس، وقد تضمن أمرًا مهمًّا وهو: أن الظن الحسن بالله لا يكون ولا يتم إلا بالاجتهاد في الطاعة، وبذل أسباب السلامة، أما ترك العمل الصالح، أو التهاون فيه، فهو من الأماني الباطلة، وفرقٌ كبير بينهما، فالذي يحسن الظن بالله يسارع إلى طاعته، ويرجو رحمته، فيجتهد في الطاعة والعبادة، ويأخذ بأسباب النجاة والسلامة، ومن خاف من الله وطلب رضاه، حمَله ذلك على الإقبال على مولاه، كما في حديث أبي بن كعب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة». (أخرجه أبو نعيم، والحاكم، وصحح الألباني إسناده؛ كما في السلسلة الصحيحة ٢/٦٧٥).

أهمية حسن الظن بالله تعالى في القرآن الكريم:

وقد وردت آيات كثيرة في كتاب الله تعالى توجب حسن الظن بالله، وهذه بعضها: قال الله تعالى: «وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ» (البقرة:٤٥، ٤٦)، ففي هاتين الآيتين مدح للمؤمنين الصادقين الذين أيقنوا بلقاء رب العالمين، وأحسنوا الظن بالله تعالى، وقد دفعهم ذلك وسهَّل عليهم الإقبال على الطاعات وترك المنكرات، متوقعين نيل الثواب من البر الرحيم، والخلاص من عقابه.

قال السعدي رحمه الله في تفسيره لقوله تعالى: «ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ» (البقرة:٤٦): فهذا الذي خفف عليهم العبادات وأوجب لهم التسلي في المصيبات، ونفَّس عنهم الكربات، وزجرهم عن فعل السيئات، فهؤلاء لهم النعيم المقيم في الغرفات العاليات. (تيسير الكريم الرحمن ١/٨٣).

ولما أظهر المنافقون ما تُكنُّه صدورهم من حقد وضغينة على أهل الإيمان في غزوة أحد أحسن المؤمنون ظنهم بربهم ولجؤوا إليه وحده؛ ثقةً منهم بربهم وتوكلاً عليه، فعادوا بالنعمة والفضل كما قال تعالى: «ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ» (آل عمران: ١٧٣، ١٧٤).

وقد أفادت الآيتان صدقَ المؤمنين وقوة يقينهم بنصر الله ووعده، وكان ذلك في حمراء الأسد عقب غزوة أحد، ولذلك قالوا: «حسبنا الله ونعم الوكيل». قال ابن جرير: «وإنما وصف تعالى نفسه بذلك؛ لأن الوكيل في كلام العرب هو المسند إليه القيام بأمر من أسند إليه القيام بأمره، فلما كان القوم الذين وصفهم الله بما وصفهم به في هذه الآيات قد كانوا فوَّضوا أمرهم إلى الله، ووثقوا به، وأسندوا ذلك إليه، وصف نفسه بقيامه لهم بذلك، وتفويضهم أمرهم إليه بالوكالة، فقال: ونعم الوكيل الله تعالى بهم». (تفسير ابن جرير ٤/١١٨، ١١٩).

ولما قام بقلوب القوم ذلك، وأسندوا أمورهم إلى الله رجعوا بعافية وفضل، ولم يصبهم قتل ولا جرح، بل كان أمرهم كما ذكر الله عنهم: «فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ» (آل عمران:١٧٤)، وفي هذا تزكية من الله لهم، وإخبار بأنهم رجعوا بخيري الدنيا والآخرة. (تفسير ابن جرير ٤/١٢٢، ١٢٣).

وقد تكرر في القرآن الكريم مثل هذا المدح

والثناء للصحابة الكرام بسبب إحسانهم الظن بالله، وتحقيق الإيمان والثقة بوعد الله؛ كما في قوله تعالى عنهم في غزوة الأحزاب: «وَلَمَّا رَءَا الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَٰذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا (٢٢) مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا» (الأحزاب:٢٢، ٢٣).

فقد وصف الله المؤمنين هنا بحسن ظنهم بربهم عند تكالب الأعداء عليهم، وما زادهم اجتماع المشركين عليهم من كل جانب إلا تصديقًا بعهد الله وثقةً بنصره، وهذا لا يكون إلا من قلوب مؤمنة واثقة بنصر الله ووعده لهم بالظَّفَر على أعدائهم، مع شدة الكرب والابتلاء، وهذا من حسن ظنهم بربهم ووفاءَ بعهدهم الذي عاهدوا الله عليه، وإظهارًا لتصديقهم بوعد الله ورسوله صلى الله عليه وسلم.

قال الشيخ أبو بكر الجزائري في تفسير قوله تعالى: «وَلَمَّا رَءَا الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ» (الأحزاب:٢٢): أي: لما رأى المؤمنون الصادقون جيوش الأحزاب وقد أحاطت بهم، «قَالُوا هَٰذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ» (الأحزاب:٢٢) بخلاف ما قاله المنافقون حيث قالوا: «مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إلاَّ غُرُورًا» (الأحزاب:١٢)، وقوله: «ما زادهم» أي: رؤيتهم للأحزاب على كثرتهم، «إلا إيمانًا» بصادق وعد الله، «وتسليمًا» لقضائه وحكمه، وهذا ثناء عطر على المؤمنين الصادقين من ربهم عز وجل». (أيسر التفاسير ٢٥٨/٤).

المقام الرفيع في حسن الظن بالله والثقة به:

وقد بلغ النبي صلى الله عليه وسلم المقام الرفيع في حسن الظن بالله والثقة به، فكان من أفضل المتوكلين عليه، وسيرته في مواقف متعددة شاهدة على ذلك، ومنها ما جاء في حادثة هجرته من مكة المكرمة إلى المدينة الطيبة، وقد ذكر الله ذلك في قوله: «إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ» (التوبة:٤٠).

وفي هذه الآية تشريف وتكريم للنبي صلى الله عليه وسلم وصاحبه؛ لأن الله بيَّن فيها لكل من تقاعس عن نصرة النبي صلى الله عليه وسلم أنه سبحانه ناصِره ومؤيده وحافظه من أعدائه، وأنه بعظمته وقدرته التي لا تُقهر معه، ومن كان الله معه، فلا قدرة لأحد عليه، ولا يلحقه حزن ولا خوف، بل إن السكينة والثبات والطمأنينة تكون ملازمة له، كما قال الله تعالى: «فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ» (التوبة:٤٠).

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله: «وفي الآية فضيلة السكينة، وأنها من تمام نعمة الله على العبد في أوقات الشدائد والمخاوف، التي تطيش لها الأفئدة، وأنها تكون على حسب معرفة العبد بربه، وثقته بوعده الصادق، وبحسب إيمانه وشجاعته». (تفسير السعدي ٢٣٩/٣).

وجواب النبي صلى الله عليه وسلم على كلام أبي بكر يدل على قوة سكينته وثقته بربه؛ كما في الصحيحين عن أنس أن أبا بكر الصديق حدثه قال: «نظرت إلى أقدام المشركين على رؤوسنا ونحن في الغار، فقلتُ: يا رسول الله، لو أن أحدهم نظر إلى قدميه أبصرنا تحت قدميه، فقال: يا أبا بكر، ما ظنك باثنين الله ثالثهما». (البخاري: ٣٦٥٣، ومسلم: ٢٣٨١).

قلت: في هذه الآية وهذا الحديث بيان لفضل أبي بكر الصديق رضي الله عنه؛ لأنهما دلاَّ على أن الله كان معه، وكل من كان الله معه فهو من المتقين المحسنين، وقد ساق الفخر الرازي اثني عشر وجهًا من الآية تدل على فضل الصديق رضي الله عنه، فأطاب وأفاد.

وللحديث صلة وبيان بإذن الله تعالى.

والحمد لله رب العالمين.



انقضاء رمضان .. وعيد المسلمين

بقلم
رئيس التحرير
جمال سعد حاتم
GSHATEM@HOTMAIL.COM
GSHATEM@YAHOO.COM

الحمد لله رب العالمين، ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا﴾ (الأنعام:٩٦)، يُقلب الليل والنهار عبرة لأولي الأبصار، له الحمد في الأولى والآخرة، وله الحكم واليه ترجعون، وبعدُ:

فسُنة الله لا تتبدل، يُداولها الله بين الناس، فيُغشي الليل النهار يطلبه حثيثًا، يتنقل المرء خلالها من زاد إلى زاد، ومن طاعة الى مثيلتها، وينتهز المرء فيها كل فرصة سانحة له ،لأن الميدان سباق، والأوقات تنتهب.

بالأمس كنا نستنشق عبير شهر كريم يملأ صدورنا ويملأ أسماعنا وأبصارنا، ما بين مُقل فيه ومكثر، غير أن سُنة الله قد دلت على أن لكل بداية نهاية، ولكل تمام نقصًا، وأن كل شيء هالك إلا وجهه، وقد طويت صحيفة رمضان أو أوشكت، وينقضي معها سوق كانت عامرة بالخيرات والحسنات، ربح فيها من ربح، وخسر من خسر، وحُرم من حُرم، والله سبحانه وتعالى يكافئ المسلمين بعد شهر جد وتعب واجتهاد وشد للمآزر بعيد المسلمين، فيه الفرح والسرور، ينتقل فيه المسلم من شهر تسبيح وقيام وقراءة، إلى عيد محبة وفرح وصلة وسعة وسرور، فلا يطغى في فرحه بما يُغضب الله، ولا يُضيِّق على نفسه فيما جعل الله له فيه سعة حتى لا يكون حرضًا أو يكون من الهالكين.

الاستدامة على الطاعة .. فعيب على المرء أن يضعف بعد قوة

يتعجب الكثير منا من سرعة انقضاء هذا الشهر الكريم، فما أن حل علينا رمضان وفرحنا به، حتى شارفنا على وداعه، وهذه السرعة العجيبة في هذا الشهر الكريم، ما كانت لولا تيسير الله لنا، وإنعامه علينا، بالأمن ورغد العيش، وإن دقق المسلم النظر فيمن حوله سائلاً نفسه عن أحوال الأمة الإسلامية من حولنا، هل مر شهر رمضان سريعًا على من يعيش تحت وطأة الحروب والدمار والتهجير والمرض، وانتشار الأوبئة، وأصوات المدافع والطائرات تدك الأخضر واليابس من حولهم وفوق رؤوسهم ليل نهار، ويصبحون ويمسون على فقد حبيب أو إصابة قريب، هل مر رمضان سريعًا على من لا يكاد يجد قوت يومه؟

ثم تأملوا أن هذه السرعة إنما هي سرعة تقربنا إلى آجالنا، وتدنينا من لقاء ربنا، فينبغي للعاقل منا أن يقف مع نفسه وقفة تأمل ومحاسبة؛ فالأجل وإن طال قريب، والعمر وإن امتد قصير.

وإنه ليعيب المرء أن يضعف بعد قوة، ويسيء بعد

إحسان، وإن المؤمن الملهم هو الخائف الراجي الذي توسط يوم تباين الآخرون، يعبد الله في كل حين وعلى كل حين، يستزيد في زمن الزيادة، ويعتدل في زمن الاعتدال، لا يفتر عن الطاعة، ويُتبع الحسنة الحسنة، ويظهر من سلوكه وعمله بعد رمضان ما يشير إلى قبول عمله؛ لأنه لازم الله في كل حين، ولم يقع فيما حذر منه الله تعالى بقوله: « وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا » (النحل:٩٢).

رحم الله امرأً استقام على طاعة ربه بعد رمضان، وأمسك بما عهد الله عليه من التوبة النصوح، وسؤال مغفرة الذنوب، والعتق من النيران، فمن استمسك بالعروة الوثقى سلم من هواه وجعل صلته بالله لا تنفك مهما تَقَلَّبَتْ الأيام والشهور، فاستدام على الطاعة، وروَّض نفسه على التكيف مع العبادة بحسب أوقاتها، دون كلل أو ملل: «إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ » (فصلت:٣٠).

فرحة المسلم .. وفرحة العيد

يكاد الشهر الكريم أن يلملم أوراقه ويرحل ويفرحُ المسلم؛ لأن الله قد مدَّ له في عمره فبلَّغه ختام الشهر مع الصائمين، وأبقى له قواه فأعانه على الطاعة مع الطائعين، وحُق للمرء أن يفرح أنه قد أرضى ربه، وإذا كانت اليوم فرحة، فإن الفرحة الأخرى تكون للطائع عند موته حين يرى نتائج أعماله، وتزف إليه البشرى من الملائكة: «أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ» (فصلت:٣٠)، وفرحة في قبره حين يرى الخير والحبور، ومقعده من الجنة فيعلوه السرور، وفرحة يوم يقف بين يدي ربه فيعطى صحيفة حسناته بيمينه، فيقول والفرحة تملأ قلبه: «هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ » (الحاقة:١٩)، والفرحة العظمى والمنة الكبرى تكمل حين يدخل الجنة فيأمن الأمن التام، ويسعد بلا شقاء، وينعم بلا بأساء، نسأل الله أن يُتم على المسلمين فرحتهم وأن تنالهم تلك النفحات.

فما بال النفوس تفرح برمضان؟ وما بال الناس يفرحون بمقدمه ويحزنون بفُراقه؟ إن ذلك لأنهم يُقربون فيه من الله، وفي ذلك العيش الحقيقي.

ها هو شهر المغفرة يرحل وتنجلي بانتهائه روعة العيد في اجتماع الأبدان، وتصافح الأيادي، ولكن الروعة تتم، والعيد يزدان باجتماع القلوب، وتصافي النفوس، فالعيد يطيب بالثياب النظيفة، ولا يكتمل بهاؤه إلا بالقلوب النظيفة.

وإنها لفرصة لأن يكون شعارنا اليوم مع كل من شاب النفوس منه شيء: «وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ » (آل عمران:١٣٤)، لأنها فرصة سائغة لأن نستعلي على الشيطان وعلى أنفسنا، ونصل أرحامنا التي قصرنا في وصلها، ونعفو عمن أساء لنا، وننبذ عن قلوبنا الحسد والبغضاء، وتعيد لوجوهنا البهجة والصفاء.

محاسبة النفس بعد رمضان

ينقضي رمضان وحال أمتنا من سيئ إلى أسوأ، وليس لنا سوى علام الغيوب، ناصر المستضعفين، وإنها لفرصة عظيمة ونحن ننظر إلى أحوال أمتنا المنكوبة والمتكالب عليها أن يحاسب كل إنسان نفسه، وينظر إلى ما قدم، ويحاسب نفسه على طغيانها، بل ننظر إلى حقارة الدنيا التي ذمَّها الله تعالى في كتابه، وحذرنا منها أشد التحذير، من أجل عدم الركون إليها، ألم نقرأ القرآن، ومرت علينا آيات منه تذكرنا بهوان الدنيا؟! ألم نسمع قول الله تعالى: « يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ » (فاطر:٥)؟! ألم نسمع قول الله تعالى: «يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ » (غافر: ٣٩- ٤٠).

ولنتذكر من صلى معنا في مثل هذا اليوم من الأعوام الماضية، ومن كان قريبًا منا ثم رحلوا عن دنيانا ولم يستصحبوا منها سوى ما قدموا من أعمال، وتركوا الدور والقصور والأموال، فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا ما ترون في هذه الأيام من مظاهر الزينة، فإن الزينة الحقيقية زينة التقوى.

فاستحضروا عظمة هذا العيد، وتذكروا بمروره وتكرره عليكم انقضاء أعماركم، وانتهاء آثاركم، وخواتيم أعمالكم، واقتراب آجالكم، فتزودوا بالتقوى للسفر البعيد.

أسأل الله تعالى أن يجعل هذا العيد عيدًا مباركًا علينا وعلى مصرنا الغالية، وأمتنا الإسلامية بالعز والتمكين وارتفاع راية الدين، تقبل الله منا ومنكم،

والحمد لله رب العالمين.



باب التفسير

سُورَةُ الأَحْقَافِ

الحلقة الحادية عشرة

إعداد/ د. عبد العظيم بدوي

بسم الله الرحمن الرحيم

«وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ
خَلَتِ النُّذُرُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا
تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ
عَظِيمٍ (٢١) قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا
بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٢٢) قَالَ إِنَّمَا
الْعِلْمُ عِندَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَٰكِنِّي
أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ (٢٣) فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا
مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا بَلْ
هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٤)
تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا
مَسَاكِنُهُمْ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ»

(الأحقاف: ٢١- ٢٥).

يَقُولُ تَعَالَى: «وَاذْكُرْ» يَا نَبِيَّنَا لِقَوْمِكَ «أَخَا عَادٍ» وَهُوَ هُودٌ عليه السلام، كَمَا قَالَ تَعَالَى: «وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا» (الأعراف: ٦٥)، وَالْمُرَادُ بِالأُخُوَّةِ أُخُوَّةُ النَّسَبِ لَا أُخُوَّةُ الإِيمَانِ، فَقَدْ كَانَ مُؤْمِنًا وَهُمْ كُفَّارٌ، «إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ» عَادًا، وَالإِنْذَارُ هُوَ الإِعْلَامُ الْمَصْحُوبُ بِالتَّخْوِيفِ، وَكَانُوا يَسْكُنُونَ «بِالأَحْقَافِ» بِالْيَمَنِ، الأَحْقَافُ جَمْعُ الْحِقْفِ: وَهُوَ الرَّمْلُ الْمُسْتَطِيلُ الْمُعْوَجُّ، فَأَنْذَرَهُمْ عَاقِبَةَ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الشِّرْكِ بِاللَّهِ وَتَرْكِ عِبَادَةِ اللَّهِ الَّتِي خَلَقَهُمْ لَهَا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: «وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ» (الأعراف: ٦٥)، «أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٦٩) قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٧٠) قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ فَانتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ» (الأعراف: ٦٩- ٧١).

«وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ» أَيْ جَاءَ هُودٌ عليه السلام بَعْدَ نُوحٍ عليه السلام، وَجَاءَتْ بَعْدَهُ رُسُلٌ كَثِيرُونَ، كُلُّهُمْ يَدْعُونَ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، فَالتَّوْحِيدُ هُوَ دَعْوَةُ جَمِيعِ الْمُرْسَلِينَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى لِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم: «وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ» (الأنبياء: ٢٥).

وَقَوْلُهُ: «إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ» إِنْ لَمْ تَعْبُدُوا اللَّهَ عزوجل، فَإِنَّ اللَّهَ قَالَ: «إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ» (غافر: ٦٠)، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: «لَّن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا (١٧٢) فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا

يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا » (النساء: ١٧٢ - ١٧٣).

فَكَذَّبُوهُ وَاتَّهَمُوهُ بِأَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَهُمُ الَّذي وَجَدُوا عَلَيْهِ آبَاءَهُمْ:

«قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا» أَيْ لِتَصْرِفَنَا عَنْ عِبَادَةِ آلِهَتِنَا الَّتِي وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا؟! ثُمَّ تَجَرَّؤُوا فَسَأَلُوهُ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بِمَا أَنْذَرَهُمُوهُ، قَالُوا «فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ»، كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ الأَعْرَافِ: « قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ۖ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ » (الأعراف: ٧٠).

«قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللهِ» إِنْ شَاءَ عَجَّلَ لَكُمْ مَا تَسْتَعْجِلُونَ وَإِنْ شَاءَ أَخَّرَهُ، كَمَا أَجَابَ نُوحٌ عليه السلام قَوْمَهُ وَقَدْ: « قَالُوا۟ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ » (هود: ٣٢ - ٣٣)، وَكَمَا قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم لِقَوْمِهِ وَقَدْ سَأَلُوهُ أَيْضًا تَعْجِيلَ الْعَذَابِ: «مَا عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ » (الأنعام: ٥٧)، وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاَغُ الْمُبِينُ، وَلِذَلِكَ قَالَ هُودٌ عليه السلام: «إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ» وَأَيُّ جَهْلٍ أَقْبَحُ مِنْ جَهْلِ الَّذِينَ يَسْتَعْجِلُونَ عَذَابَ اللهِ، وَهُوَ وَاقِعٌ لاَ مَحَالَةَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي الإِنْكَارِ عَلَيْهِمْ: «سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ﴿٢﴾ مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ » (المعارج: ١ - ٣)، وَقَدْ صَرَّحَ رَبُّنَا سُبْحَانَهُ بِجَهْلِ الْمُسْتَعْجِلِينَ عَذَابَهُ فَقَالَ: « وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾ بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ » (الأنبياء: ٣٨ - ٤٠).

قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ عَفَا اللهُ عَنْهُ: «جَوَابُ «لَوْ» مَحْذُوفٌ، وَ«حِينَ» مَفْعُولٌ بِهِ لِيَعْلَمَ، أَيْ لَوْ يَعْلَمُونَ الْوَقْتَ الَّذِي يَسْتَعْجِلُونَهُ، وَهُوَ وَقْتٌ صَعْبٌ شَدِيدٌ، تُحِيطُ بِهِمُ النَّارُ مِنْ وَرَاءٍ وَقُدَّامٍ، وَلَكِنَّ جَهْلَهُمْ بِهِ هُوَ الَّذِي هَوَّنَهُ عِنْدَهُمْ. قَالَ: وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ «يَعْلَمُ» مَتْرُوكًا فَلاَ تَعْدِيَةَ، بِمَعْنَى لَوْ كَانَ مَعَهُمْ عِلْمٌ وَلَمْ يَكُونُوا جَاهِلِينَ لَمَا كَانُوا مُسْتَعْجِلِينَ، وَ«حِينَ» مَنْصُوبٌ بِمُضْمَرٍ، أَيْ حِينَ لاَ يَكُفُّونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُمْ كَانُوا عَلَى الْبَاطِلِ، وَيَنْتَفِي عَنْهُمْ هَذَا الْجَهْلُ الْعَظِيمُ، أَيْ لاَ يَكُفُّونَهَا». (الكشاف: ٣/ ١٢).

وَلَمَّا أَرَادَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ يُهْلِكَهُمْ حَبَسَ عَنْهُمُ الْمَطَرَ ثَلاَثَ سِنِينَ، فَأَصَابَهُمُ الْجَدْبُ وَالْقَحْطُ، وَأُخِذُوا بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ، فَلَمَّا اشْتَدَّتْ بِهِمُ الْمَجَاعَةُ وَخَافُوا الْهَلاَكَ مِنَ الْجُوعِ اخْتَارُوا وَفْدًا لَهُمْ يَأْتِي بَلَدَ اللهِ الْحَرَامَ وَيَسْتَسْقِي، أَيْ يَطْلُبُ السُّقْيَا مِنَ اللهِ، لَعَلَّ اللهَ يَسْقِيهِمْ، وَجَلَسُوا فِي الْيَمَنِ يَرْقُبُونَ عَوْدَةَ الْوَفْدِ أَوْ مَجِيءَ الْغَيْثِ، فَلَبِثَ الْوَفْدُ فِي مَكَّةَ مَا لَبِثَ، وَأَثْنَاءَ الْعَوْدَةِ هَبَّتِ الرِّيحُ فَحَمَلَتِ الْوَفْدَ وَكُلَّ مَا أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ، فَصَارَتْ سَحَابَةً سَوْدَاءَ، وَتَوَجَّهَتْ إِلَى أَهْلِ الْحَضَرِ الَّذِينَ يَنْتَظِرُونَ عَوْدَةَ الْوَفْدِ أَوِ الْغَيْثِ، فَبَيْنَمَا هُمْ يَرْقُبُونَ هَكَذَا جِهَةَ بَلَدِ اللهِ الْحَرَامِ إِذْ رَأَوْا عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ فَاسْتَبْشَرُوا خَيْرًا وَ«قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا»، فَقِيلَ كَذَبْتُمْ وَخِبْتُمْ وَخَابَ ظَنُّكُمْ، «بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ»، فَرَفَعَتْهُمْ إِلَى فَوْقُ ثُمَّ كَبَّتْهُمْ إِلَى أَسْفَلَ، « سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ » (الحاقة: ٧)، لأَنَّهُمْ كَانُوا عَمَالِقَةً، ذَوِي طُولٍ وَعَرْضٍ، فَلَمَّا كُبُّوا عَلَى رُءُوسِهِمْ صَارَتِ الرُّؤُوسُ فِي نَاحِيَةٍ، وَالْجُثَثُ فِي نَاحِيَةٍ، وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: «فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ » (الحاقة: ٧)، «فَأَصْبَحُوا لاَ يُرَى إِلاَّ مَسَاكِنُهُمْ»، دَمَّرَتِ الرِّيحُ الْقَوْمَ رِجَالاً وَنِسَاءً، وَدَمَّرَتِ الزَّرْعَ، وَدَمَّرَتِ الأَمْوَالَ وَالْمَوَاشِيَ، «فَأَصْبَحُوا لاَ يُرَى إِلاَّ مَسَاكِنُهُمْ»، كَمَا قَالَ تَعَالَى: « فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ » (النمل: ٥٢).

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: «كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ» فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ، كَمَا جَزَيْنَا قَوْمَ عَادٍ.

وللحديث بقية إن شاء الله.

والحمد لله رب العالمين.

أوصيك ونفسي

فقرات من وصايا الشيخ محمد حامد الفقي (رحمه الله) مؤسس جماعة أنصار السنة المحمدية

إعداد/ فتحي أمين عثمان

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على إمام المهتدين وعلى آله، وبعدُ:

فإن كنت تريد فلاح الدنيا والآخرة فأوصيك ونفسي أن تأخذ نفسك بكل حزم وقوة على أن تكون محسنًا في كل عمل من أعمالك بعزيمة ثابتة، وقصد صحيح، ونية صادقة من لبّ سليم، وقلب قد ربط الله عليه بالعلم الصحيح النافع، والهدى الواضح، والإيمان الصادق، فإن ذلك سيدعوك إلى أن تعرف مقامات العمل وأسباب صحته وبطلانه، وما يستدعيه ويدعو إليه، وسبيله الذي يصل بك إلى الغاية التي تعمل هذا من أجلها، فيتجدد العمل في نفسك، وتكون له صورة واضحة في ذهنك غير ملتبسة ولا مختلطة بغيرها، فلا تتدافع الأعمال في نفسك ولا تتزاحم، فيفسد بعضها بعضًا، وتخرج منها جميعها بغير نتيجة ولا عمل، وبذلك يتحقق لك النجاح والفلاح في كل عمل، ويعطيك الله ثمرته الطيبة، وذلك هو معنى قول الرسول صلى الله عليه وسلم: «إنما الأعمال بالنيات».

فالأعمال المرضية- من صلاة، وزكاة، وصوم وحج، وبر، وصلة، وإحسان، ونحوها- ينبغي ألا تدخل فيها إلا بعد التهيؤ لها بصفاتها وشروط صحتها، وبكل

ما تستدعيه هذه العبادات من شرط حسي ومعنوي، ولا سبيل لك إلى ذلك إلا من كتاب الله وهدي رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فإذا ورد قلبك هذا المنهل العذب من العلم النافع؛ أقبلت على العبادة بقلب سليم يقظ، ونفس محتاجة فقيرة أشد الحاجة والفقر إلى ما في هذه العبادة من رضوان الله وإصلاح لها، وعلاج لأمراض قلبك، ودواء لمجتمعك من كل ما تشكو منه.

ثم ادخل في العمل وقد اتصلت نفسك به وامتزجت كل الامتزاج، بحيث لا يكون في ذهنك سواه، حتى كأنك خُلقت الآن لهذا العمل، وأنت ميت بعده مباشرة، وأنه هو الذي ستلقى به ربك، ولا تزال كذلك حتى تتم عملك، فتجد إن شاء الله أن ربك قد غرس في جنة قلبك شجرة مباركة طيبة يثبت أصلها في قلبك وتذهب فروعها في السماء، فتؤتيك أكلها في كل حين بإذن ربها؛ من زيادة إيمان وهدى، وزيادة علم بربك وحب وخشية لربك، وتقدير وشكر لنعم ربك، وينفعك كل ذلك في كل شأنك مع أهلك وإخوانك وفي عبادتك المستقبلة، فلا تزال تزداد إيمانًا وهدى وحبًا وكرامة، ورفعة على معارج الكمال الإنساني والكمال الديني.

وهكذا الشأن في عملك الدنيوي، اعرف مقدماته ومبدأه وسبيله وغايته، وأقبل عليه بعزم صادق وروية وحكمة وسداد، مؤمنًا بسنة ربك في التدرج، فإنه الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام، ولو شاء لخلقها في طرفة عين، فاعرف ذلك جيدًا، وخذ سبيلك في كل عملك على هداه، بحيث لا تنتقل من خطوة إلى أخرى إلا إذا ثبت قدم عملك وعقلك وتقديرك في الأولى، وعرفت موضع خطوك في الثانية كذلك، وهكذا، فإنك بذلك تبلغ الغاية التي تسعى إليها على هدى ورشد، وتنال الفلاح في دنياك وآخرتك.

ومن هذا تعرف السر في خسران أكثر الناس وحبوط أعمالهم الدينية والدنيوية، لأنهم يدخلون في أعمالهم على غير هدى، ولا علم فيدعوهم جهلهم وضلالهم أن يدخلوها بغير عزيمة ولا صدق نية، ولا حكمة ولا رشد، ويخدعون أنفسهم بأن قولهم: «نويت الوضوء»، «نويت صلاة كذا»، «نويت الصيام»، نية نافعة؛ لأنهم اعتقدوا بتقليدهم: أن الغرض منها إعلام الله بأنهم يصلون له أو يصومون، وجعلوا حقيقتها وحكمتها والغرض منها؛ لأنهم مقلدون، موتى القلوب، فلو حطموا عن أعماق قلوبهم أغلال التقليد لخرجت نشطة قوية إلى ميدان العلم الفسيح من سنن الله وآياته، وهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

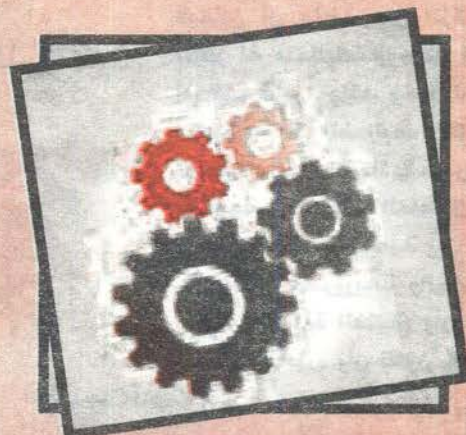
وإذن لعلموا أن هذه النية هي وصدق العزيمة في الدخول في العمل إنما لزمت لكل عامل ليجرد عمله ويتقنه بالعلم واليقظة والتأثر والاصطباغ به، والانتفاع منه، ولا يكون ذلك إلا بمعرفة المقدمات والمبدأ والسبيل والغاية والاتصال الروحي والعقلي بالعمل أتم اتصال، حتى يعرف نقصه وعيبه المؤدي إلى عكس الغاية، فيتداركه أثناء العمل، أو في العمل الآخر، وعندئذ يشعر العامل أن عمله لخير نفسه هو، وللمزيد من أسباب الحياة الطيبة له هو، فأما الله فهو غني عن العالمين: «إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا» (الإسراء:٧)، «مَّنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا» (فصلت:٤٦)، «وَمَن جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ» (العنكبوت:٦)، «قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا» (الشمس:٩-١٠).

والله من وراء القصد.

باب الاقتصاد الإسلامي

الضوابط الشرعية للعمل والعمال والأجر في الاقتصاد الإسلامي





إعداد/ د. حسين حسين شحاتة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فقد تضمنت الشريعة الإسلامية مجموعة من الضوابط الشرعية للعمل والعمال، من أهمها ما يلي:

أولاً: الإيمان بأن العمل الصالح ضرورة شرعية وحاجة حياتية:

العمل تكليف من الله عز وجل، وهو جزء من أجزاء الإيمان الواجبة، وليست عملية اختيارية أو من المندوبات، ودليل ذلك قول الله تبارك وتعالى: «وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ» (التوبة: ١٠٥).

ولقد كان سلوك رسول الله صلى الله عليه وسلم مع العاطل الذي جاء يطلب الصدقة؛ فباع ما عنده، واشترى له وسيلة العمل المنتج؛ فقد ورد عن أنس بن مالك أن رجلاً من الأنصار أتى النبي صلى الله عليه وسلم، فسأله. فقال: أما في بيتك شيء؟ قال: بلى حِلْسٌ نلبس بعضه ونبسط بعضه، وقَعْبٌ نشرب فيه من الماء، قال: ائتني بهما فأتاه بهما، فأخذهما رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده، وقال: من يشتري هذين؟ قال رجل: أنا آخذهما بدرهم، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يزيد على درهم؟ مرتين أو ثلاث، قال رجل: أنا آخذهما بدرهمين فأعطاهما إيّاه، وأخذ الدرهمين وأعطاهما الأنصاري، وقال: اشترِ بأحدهما طعاماً فانبذه إلى أهلك، واشترِ بالآخر قدوماً فائتني به فأتاه به، فشد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم عوداً بيده، ثم قال: اذهب فاحتطب وبع، ولا أرينك خمسة عشر يوماً، ففعل الأنصاري، فجاء وقد أصاب عشر دراهم فاشترى ببعضها ثوباً، وببعضها طعاماً، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هذا خيرٌ من أن تجيء المسألة نكتة في وجهك يوم القيامة، إن المسألة لا تصلح إلا لثلاث لذي فقر، مدقع أو لذي غرم مفظع، أو لذي دم موجع» (رواه البخاري).

ولذا فإن من مسئولية ولي الأمر أن يُوجد فرصة عمل لكل قادر على العمل؛ لأن طاقات العمل ثروة بشرية لا يجوز تعطيلها أو إهدارها، فهذه الثروة

لا تقل أهمية عن أهمية الموارد الطبيعية والمال، ولقد حث الله على الهجرة من مكان لآخر ابتغاء طلب الرزق، فقال عز وجل: (وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً) (النساء: ١٠٠).

ثانيًا: حرمة من قعد عن العمل وهو قادر عليه:

فلا جزاء لقاعد عن العمل، ولا كسب بلا جهد، ودليل ذلك قول الله تبارك وتعالى: (وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ) (النجم:٣٩)، ولقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التسول وسؤال الناس، فقال صلى الله عليه وسلم في الحديث: «لأن يحتطب أحدكم على ظهره خيرٌ له من أن يسأل أحد فيعطيه أو يمنعه» (رواه البخاري).

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق ويقول: اللهم ارزقني، فقد علمتم أن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة».

ثالثًا: حرمان العامل من أجره أو بخسه ظلم وفساد في الأرض:

ودليل ذلك قول الله تبارك وتعالى: (وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ) (هود:٨٥)، ويحذر الرسول صلى الله عليه وسلم من عدم إعطاء العامل أجره، فيقول صلى الله عليه وسلم في الحديث القدسي: «ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة، ومن كنت خصمه خصمته، رجل أعطى بي ثم غدر، ورجل باع حرًّا فأكل ثمنه، ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه ولم يعطه أجره» (رواه مسلم وأحمد).

رابعًا: وجوب تفاعل وتعاون المال والعمل لإنتاج الطيبات:

فلا يجوز اكتناز المال، كما لا يجوز تعطيل العمال عن العمل؛ لأن ذلك يعوق النشاط ويؤدي إلى الكساد، كما يجب العدل في توزيع عوائد العملية الإنتاجية فلا يطغى عائد المالك وهو الربح على عائد العامل وهو الأجر.

خامسًا: يجب أن يكون مجال العمل حلالاً طيباً:

حتى يكون الكسب الناتج منه كذلك حلالاً حتى يثاب العامل على كسبه وإنفاقه، ودليل ذلك من القرآن الكريم قول الله تبارك وتعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلَّا أَن تُغْمِضُوا فِيهِ ۚ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ) (البقرة:٢٦٧).

سادسًا: لا يجوز أن يعطل العمل عن أداء الفرائض والواجبات:

يقول الله تبارك وتعالى: «فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ» (الجمعة: ١٠).

سابعًا: حرمة إعطاء الزكاة لأي عامل عاطل قادر على العمل ولكنه يتكاسل:

ودليل ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لاَ تَحِلُّ الصَّدَقَةُ لِغَنِيٍّ وَلاَ لِذِي مِرَّةٍ سَوِيٍّ» (صحيح سنن النسائي: ٢٥٩٧). أما إذا كان الأجر الذي يحصل عليه دون حد الكفاية، فيعطى له من بيت المال حتى تمام كفايته، أما إذا لم يجد أداة الحرفة أو العمل لفقره فيمكن أن يأخذ من الزكاة ما يوفر له متطلبات ووسائل العمل إذا كان فقيراً، ولقد وضع الفقهاء مجموعة من الضوابط الشرعية لتوظيف أموال الزكاة في مشروعات إنتاجية لتشغيل العاطلين من العمال منها: المشروعية وأن تكون في مجال الضروريات والحاجيات وتوافر الكفاءة الفنية، وأن تكون قليلة المخاطر، وأن تكون في إطار احتياجات المجتمع.

لا جزاء لقاعد عن العمل، ولا كسب بلا جهد.

مفهوم الأجر وضوابطه الشرعية في الاقتصاد الإسلامي:

يحكم علاقة العامل بصاحب العمل في الفقه الإسلامي عقد العمل، والتكييف الفقهي له: «عقد بيع منفعة»، مثل عقد الإجارة الذي أجازه الفقهاء، وهذا العقد يقوم على الأركان الأساسية الآتية:

- صيغة العقد (الايجاب والقبول): من كل من

العامل وصاحب العمل.

- موضوع العقد (المعقود عليه): بيع منفعة: جهد عضلي أو ذهني أو هما معاً.

- طرفا العقد: وهما العاقدان، ويشترط أن يكونا أهلاً للتصرف.

ولقد ورد نموذج عقد العمل في القرآن الكريم في قصة سيدنا موسى والعبد الصالح شعيب عليهما السلام: (قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ (٢٦) قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ (٢٧) قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ (٢٨) فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ) (سورة القصص: ٢٦-٢٩).

من هذا النموذج نستنبط أساسيات عقد العمل في الإسلام، وهي على النحو التالي:

- تزكية بنت الرجل الصالح شعيب لسيدنا موسى للعمل على أساس الأمانة والكفاءة.

- الإيجاب من أبيها لاستئجار سيدنا موسى عليه السلام.

- القبول من سيدنا موسى عليه السلام للعمل.

- نطاق العمل: رعي ورعاية الأغنام.

- مقابل العمل: قيمة الصداق ما يعادل العمل ثمان سنوات وزيادتها إلى عشر يكون فضل من سيدنا موسى، بالإضافة إلى المسكن والطعام والملبس وغير ذلك من الحاجات الأصلية للحياة الكريمة لسيدنا موسى عليه السلام.

- الوفاء بالعقد: وهذا مستنبط من الآية الكريمة (فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ) (سورة القصص:٢٩).

ولقد وضح الفقهاء بعض الضوابط التي تحكم الأجر من أهمها:

(١)- أن يعرف العامل أجره ويدون ويوثق ذلك بأي أسلوب أو وسيلة تجنباً للغرر والجهالة، ولقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن استئجار الأجير حتى يبيّن له أجره.

(٢)- أن يكون تحديد الأجر بالتراضي التام بين العامل وصاحب العمل، لا إذعان فيه ولا استغلال، فهو عقد بيع منفعة، يطبق عليه قول الله تبارك وتعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ» (المائدة:١).

(٣)- أن يكون الأدنى للأجر متناسباً مع تكلفة الكفاية، أي يكفي العامل وأسرته تكاليف الحاجات الأصلية للمعيشة: من طعام وشراب وملبس ومأوى وعلاج وتعليم، وهذه من مسئولية الدولة بالتعاون مع أصحاب الأعمال في إطار القاعدة الفقهية « لا ضرر ولا ضرار».

ودليل ذلك هو حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: « من ولي لنا عملاً وليس له منزل فليتخذ منزلاً، أو ليست له زوجة فليتزوج، أو ليس له خادم فليتخذ خادماً، أو ليست له دابة فليتخذ دابة، ومن أصاب شيئاً سوى ذلك فهو غلول » (رواه أبو داوود عن المستورد بن شداد).

ينبغي أن يعرف العامل أجره ويدون ويوثق ذلك بأي أسلوب أو وسيلة تجنباً للغرر والجهالة.

وكان في صدر الدولة الإسلامية تحدد أجور الجند (على سبيل المثال) على أساس الكفاية للجندي ولأسرته ولمن يعولهم، وهذا ينطبق على سائر الأنشطة والقطاع الخاص بالتعاون مع الدولة، فإذا كان الأجر الفعلي دون الكفاية يأخذ تمام الأجر من بيت مال المسلمين.

(٤)- مع الأخذ في الاعتبار معيار الكفاية، والذي

يمثل الحد الأدنى للأجر، يجب أن يتأثر الأجر بالجهد المبذول، وكذلك بالخبرات والقدرات والطاقات، وطبيعة العمل ومخاطره، وكذلك بالوقت المبذول، ((فلا جهد بلا كسب))، والغاية من ذلك تحفيز العامل على العمل والإبداع والابتكار، يقول الله تبارك وتعالى: (فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ) (سورة الزلزلة: ٧-٨).

(٥) -حرمة أن يأخذ العامل شيئاً غير المتفق عليه مع صاحب العمل بدون طيب نفس منه وإلاَّ يعتبر غلولاً (حراماً)، يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «.... ومن استعملناه على عمل فرزقناه رزقا فما أخذ بعد ذلك فهو غلول (سحت)» (رواه أبو داود).

وفي رواية أخرى يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: « من استعملناه منكم على عمل فكتمنا خيطاً فما فوقه كان غلولاً يأتي به يوم القيامة »، ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لعن الله الراشي والمرتشي والرائش بينهما» (رواه أحمد)، ويجمع الفقهاء أن هدايا العمال غلول.

(٦)- حرمة أكل أجر العامل ظلماً، ودليل ذلك قول الله تبارك وتعالى: « وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ » (هود:٨٥).

ولقد ورد في الحديث القدسي عن رب العزة سبحانه أنه قال: «ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة، ومن كنت خصمه خصمته، رجل أعطى بي ثم غدر، ورجل باع حراً فأكل ثمنه، ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه ولم يعطه أجره » (رواه مسلم).

ولقد حرم الإسلام الاعتداء على أموال الغير، ويدخل فيهم العمال، فيقول صلى الله عليه وسلم: «كل المسلم على المسلم حرام، دمه وماله وعرضه » (رواه البخاري ومسلم).

(٧)- تأمين العامل في حالات العجز أو الشيخوخة أو الأزمات أو الكوارث أو المحن، وهذا كله يدخل في نطاق التكافل الاجتماعي والتعاون مسئولية ولي الأمر، ودليل ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، فالإمام راع وهو مسئول عن رعيته، والرجل راع في أهل بيته وهو مسئول، والمرأة راعية على بيت زوجها وهي مسئولة، والعبد راع على مال سيده وهو مسئول، ألا فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته» (رواه البخاري ومسلم)، ويكون ذلك من بيت مال المسلمين أو من صناديق التأمينات العامة أو الخاصة.

سلوكيات العامل وصاحب العمل في الاقتصاد الإسلامي:

تقوم العلاقة بين طرفي العملية الإنتاجية (العامل وصاحب العمل) على أسس وضوابط إسلامية، وعلى العامل واجبات وله حقوق ومن واجباته العمل بإخلاص لتحقيق أهداف المنشأة التي يعمل فيها.

ويرتبط العامل بصاحب العمل عن طريق عقد. ويجب على صاحب العمل تحقيق الكفاية للعاملين من خلال الأجور المناسبة، ومن صور ذلك: الأجور العادلة التي تحقق مستوى معيشي كريم، والمكافآت التشجيعية، والعلاوات المحفزة، والمكافآت الاجتماعية.

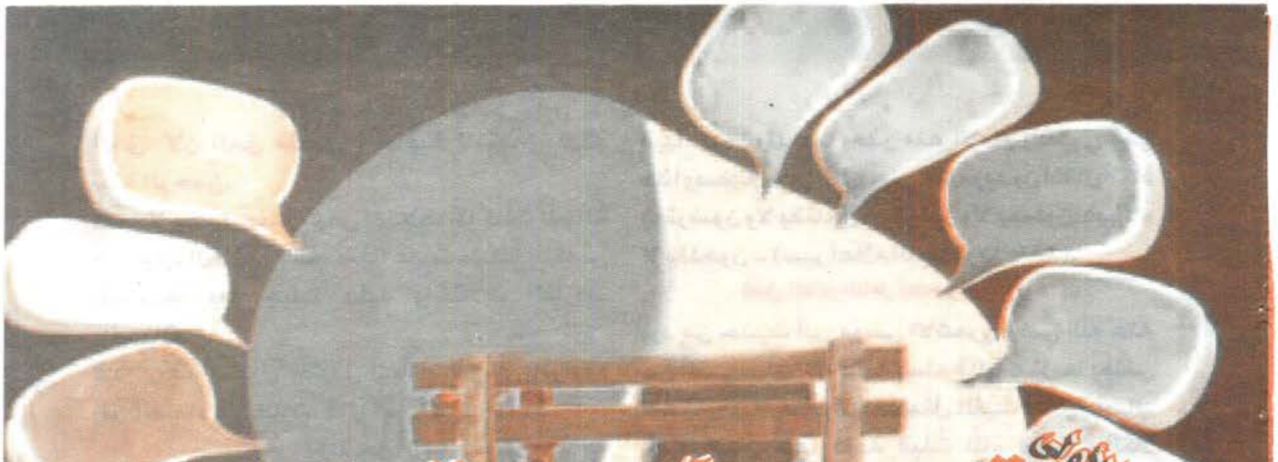
ومن أهم أسس العلاقة الطيبة التي تحكم سلوكيات كل من العمال وأصحاب الأعمال في المنهج الإسلامي ما يلي:

- أساس الإنسانية: بأن كل من العامل وصاحب العمل من خلق الله الذي كرمهم.
- أساس الأخوة في الله: فالعامل أخو صاحب العمل.
- أساس التعاون: فلا عمل ناجح بدون تعاون خالص بين العامل وصاحب العمل.
- أساس الحب والولاء والانتماء: وهذا يعتبر الحافز والدافع على الإبداع والابتكار.
- أساس العدل في توزيع عوائد الإنتاج: في إطار القاعدة الشرعية «لا ضرر ولا ضرار».
- أساس احترام النظم واللوائح: التي تحقق البيئة المناسبة للعمل.
- أساس الشورى: في اتخاذ القرارات ذات العلاقة بالعمل.

فإذا تحققت هذه الأسس قويت العلاقة الطيبة بين العامل وصاحب العمل.

وللحديث بقية إن شاء الله.

والحمد لله رب العالمين.



الحلقة الأولى

قواعد وآداب في التعامل بين الشيوخ والشباب

(قواعد شرعية وآداب اجتماعية)

إعداد/ عبد الرحمن صالح الجبران

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعدُ:

فتكمن أهمية بحثنا هذا «قواعد وآداب في التعامل بين الشيوخ والشباب» في توحيد الصفوف وتقوية الصلة بين الشباب والشيوخ، وهذه أعلى مراتب الالتزام بمنهج الكتاب والسنة وفقه سلف الأمة؛ ذلك أن العلماء الربانيين على تنوع اهتماماتهم العلمية والعملية وتفاضل مقاديرهم في العلم والإيمان، ومع هذا فإنهم لم يتفقوا في جميع المسائل ودقائقها وهذا من باب أولى أن يقع بين جيلين مختلفين كالشباب والشيوخ، ولذا نجد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اختلفوا سواء كانوا شيوخًا كأبي بكر وعمر رضي الله عنهما، أو شبابًا وشيوخًا كالذي حصل في سورة الأنفال، أو كانوا شبابًا كما حصل حين اختلف الزبير ورجل من الأنصار رضي الله عنهم على سقيا الماء، ومع هذا لم يفترقوا ولم يكونوا شيَعًا، فالاختلاف مع حفظ معاني الأخوة الإسلامية والقيام بالنصيحة عادة السلف وأصحاب الحديث. (المختصر الحديث في بيان أصول منهج السلف أصحاب الحديث ص٣٢٣).

فالهدف تقريب وجهات النظر بين الشيوخ والشباب، والسعي لتقوية العلاقة بين الطرفين وزيادة تفهُّم كل طرف لطبيعة مطالب الطرف الآخر، وتأكيد الثقة بالعلماء الربانيين وإعطائهم المكان اللائق بهم لقيادة الأمة، وتوجيه الصحوة وإرشاد العامة.

وفي المدلهمات ومواطن الشبهات إذا رجع الشاب المتحمس للعالم الرباني يستفتيه قد لا يجد عنده ما يناسبَ اندفاعه وحماسه فيترك فتوى العالم ركوبًا للهوى ويأخذ برأي غير العالم فتقع الفتنَة، ومع مرور الأيام تتسع الفجوة بينَ العلماء والشباب، فيسلكون طريقًا مخالفًا لدعوة أهل العلم، فتزداد الفتنة ويعم الجهل، وينقاد الشباب مباشرةً إلى أصحاب الأهواء.

لذا أذكِّر كل شاب مقبل على الله تعالى بالآتي:

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «إن هذا الدين يسرٌ، ولن يُشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا،وبشروا ويسروا، واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة». (رواه البخاري: ١/ ٤٤٩).

فنصيحتي لك أيها الشاب ألا تيأس من صلاح الأمة إذا رأيت كثرة المفاسد فيها، ولا تغرنك قوة من يقاوم

الحق؛ لأن الحق منصور والعاقبة للمتقين، فهذه سُنة الرحمن.

وكما لا يضيق صدرك من الخلاف إذا كانت المسألة من موارد الخلاف، وخاصة إذا علمت طبائع النفوس البشرية، وما جُبلت عليه واختلاف الظروف والبيئات.

فإذا أردت السبيل وطريق الفلاح فعليك بالرجوع إلى العلماء الربانيين، قال الله تعالى: «فَسْئَلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ» (النحل: ٤٣).

وقد صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ليس منا من لم يُجلّ كبيرنا، ويرحم صغيرنا، ويعرف لعالمنا حقه». (صحيح الجامع: ٩٥٧٤).

وقوله صلى الله عليه وسلم: «البركة مع أكابرهم». (الصحيحة: ١٧٧٨).

وقوله صلى الله عليه وسلم: «العلماء ورثة الأنبياء». (أبو داود: ٣٦٤١).

قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله في تعليقه على هذا الحديث: فـ«ورثة الأنبياء» أتباعهم، وهم العلماء الموصوفون بالعلم الصحيح النقي، العلماء العاملون بعلمهم، العلماء الناشرون لشريعة الله، العلماء الداعون لدين الله، العلماء المجاهدون في سبيل الله، لأنه لا بد أن يكون الوارث مماثلاً للموروث وإلا لنقص، فليس كل عالم وارثًا للنبي صلى الله عليه وسلم، ولكن له من إرثَ النبي نصيب، فمثلاً إذا كان عنده علم وعنده تقصير في نشر العلم، أو عنده علم وعنده تقصير في الدعوة إلى الله، أو عنده علم وعنده تقصير في الجهاد، نقول: فله من إرثهم نصيب، والوارثة لا تتحقق إلا بإرث جميع الموروث، فمثلاً ابن وأم: للأم السدس فهي وارثة لبعض ماله كذلك إرث الأنبياء: إذا لم يكن على كل ما جاءت به الأنبياء فإن الإرث يكون ناقصًا بحسب ما نقص من الإرث. (انظر: شرح بلوغ المرام ص٤٨).

فاحرص على الاستفادة من العلماء الذين هم ورثة الأنبياء، وتذكر قول الحسن بن علي رضي الله عنهما لولده: «يا بني إذا جالست العلماء فكن على أن تسمع أحرص منك على أن تقول، وتعلم حسن الاستماع كما تتعلم حسن الصمت». (جامع بيان العلم ١/٢٥٦).

واعلم أن الأمة تُقاس بعلمائها وأعلامها وذي السن فيها، وأحذرك مما حذر منه الإمام الذهبي ممن هذا وصفهم، حين قال: «بلى هنا مريدون أثقال أنكاد يعترضون ولا يقتدون، ويقولون ولا يعملون، فهؤلاء لا يفلحون». (سير أعلام النبلاء: ١٧/٢٨٢).

فضل العالم العامل بعلمه والمعلم غيره:

ورد من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّه بِهِ مِنْ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا؛ فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ قَبِلَتْ الْمَاءَ فَأَنْبَتَتْ الْكَلأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتْ الْمَاءَ فَنَفَعَ اللَّه بِهَا النَّاسَ فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَى إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لاَ تُمْسِكُ مَاءً وَلاَ تُنْبِتُ كَلأً؛ فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللَّهِ وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّه بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ». (البخاري: ٦٠٩٣).

فلقد قسم الرسول صلى الله عليه وسلم العلماء، وعلى هذا الأساس يكون التفضيل، وهم على ثلاث مراتب:

الأولى: العالم الفقيه العامل بعلمه، المعلم غيره وهذا هو الأفضل، مثاله ابن عباس رضي الله عنهما،

الثانية: العالم الذي علَّم غيره، وبلَّغ دين الله عز وجل، ولكنه لم يشغل نفسه بالتفقه والاستنباط فيما حفظ ووعى، فحفظ العلم وانتفع الناسُ به لكنه لم يتفرغ للتفقه والاستنباط فيما حفظ، وهؤلاء الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: «نضَّر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها فأداها كما سمعها، فرب مبلغ أوعى له من سامع، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه». وهذان الصنفان قد نال كل منهما دعوة خاصة من النبي صلى الله عليه وسلم هذا في الحفظ، وذاك في الفقه.

الثالثة: والذي سمع العلم ولم يحفظه ولم يتفقه فيه، ولم يعلمه، ولم يقبل هدى الله الذي أرسل به النبي صلى الله عليه وسلم، وهم أشقى الخلق الذين لم يقبلوا هدى الله ولم يرفعوا بذلك رأسًا، فلا حفظ ولا فهم، ولا رواية ولا دراية، ولا رعاية إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلاً. (شرح ابن بطال على صحيح البخاري: ١/١٦٤ بتصرف).

وللحديث بقية إن شاء الله.

والحمد لله رب العالمين.

ملوك الأرض أمام ملك الملوك

باب السنة

إعداد/ د. مرزوق محمد مرزوق

الحمد لله الملك الجبار، العزيز الغفار، الأول بلا ابتداء، الآخر بلا انتهاء، لا يفنى ولا يبيد، ولا يكون إلا ما يريد، لا تدركه الأبصار ولا تبلغه الأوهام، حي لا يموت، قيوم لا ينام، أنعم على عباده بتعريفهم إياه، وأفضل عليهم بتيسير كلامه لهم، ومنَّ عليهم ببعثه رسولاً من أنفسهم، صلى الله وسلم عليه كما وحد الله ودعا إليه وبعد:

روى الإمام البخاري من حديث أبي هريرة رضى الله عنه: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يقبض الله الأرض، ويطوي السماء بيمينه ثم يقول: أنا الملك أين ملوك الأرض؟!».

التخريج:

الحديث مروي في الصحيحين وغيرهما:

رواه البخاري في: ١- كتاب الرقاق، باب يقبض الله الأرض ت- البغا (٢٣٨٩/٥)، ٢- (كتاب التفسير-باب قوله: والأرض جميعًا قبضته يوم القيامة- صحيح البخاري (١٢٦/٦)، ٣- (كتاب التوحيد، باب قول الله ملك الناس (١١٦/٩).

ورواه الإمام مسلم في (كتاب صفة القيامة والجنة والنار (٢١٤٨/٤)، باب في صفات المنافقين- وفي سنن ابن ماجه (باب فيما أنكرت الجهمية (٦٨/١) ١٩٢).

الشرح:

الحديث مروي في البخاري في ثلاثة كتب، ولأننا نتعرض لكتاب الرقاق بالشرح، فإننا نتعرض للفظه في كتاب الرقاق وهي الرواية المذكورة سالفًا: قَوْلُهُ بَابُ يَقْبِضُ اللهُ الأَرْضَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَشَارَ إِلَى مَا وَقَعَ فِي سُورَةِ الزُّمَرِ قَبْلَ آيَةِ النَّفْخِ «وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» الآيَةَ، وَفِي قَوْلِهِ تعالى: «فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ وَحُمِلَتِ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً».

وقوله: «يقبض الله الأرض ويطوي السماء بيمينه»؛ قال عياض: هذا الحديث جاء في الصحيح على ثلاثة ألفاظ: القبض والطي والأخذ، وكلها بمعنى الجمع فإن السماوات مبسوطة والأرض مدحوة ممدودة، ثم رجع ذلك إلى معنى الرفع والإزالة والتبديل، فعاد ذلك إلى ضم بعضها إلى بعض وإبادتها». ينظر: (فتح الباري لابن حجر: ٣٧٢/١١).

وهي أفعال لله عز وجل يوم القيامة يفعلها بيده، وكلتا يديه يمين، يقول الشيخ محمد بن عبدالوهاب في كتاب أصول الإيمان (ت الجوابرة، ص: ٦٣): «يثبت هذا الحديث أن الله سبحانه وتعالى يقبض الأرض بإحدى يديه، وطيه السماء بالأخرى، وهما يمينان لربنا سبحانه، لا شمال له، تعالى ربنا عن صفات المخلوقين علوًا كبيرًا».

وقوله في الحديث: «أنا الملك أين ملوك الأرض»؟: سؤال ليس فيه إشكال، فلئن سأل رب العزة سبحانه «لمن الملك اليوم» فقد كان الملك لله في هذا اليوم وفي غيره، فهو نبأ عما يتجدد للغافلين من كشف الأحوال، وهي مسألة عقدية نجد معناها في القرآن والسنة كثيرًا للتأكيد، قال تعالى في القرآن العظيم: «يَوْمَ هُم بَارِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ» (سورة غافر: ١٦).

وفي بيانه لوقت السؤال والجواب يقول في زاد المسير (٣٣/٤): «واختلفوا في وقت قوله عز وجل له على قولين: أحدهما: أنه يقوله عند

فَناء الخلائق إذا لم يبقَ مجيب. فيَرُدّ هو على نفسه فيقول: للّه الْواحد الْقهّار، قاله الأكثرون.
والثاني: أنه يقوله يوم القيامة. وفيمن يُجيبه حينئذ قولان: أحدهما: أنه يُجيب نفسه وقد سكت الخلائق لقوله تعالى قاله عطاء.
والثاني: أن الخلائق كلّهم يُجيبونه فيقولون: «للّه الواحد القهار»، قاله ابن جريج وينظر محاسن التأويل للقاسمي (٣٠٥/٨).

هذا وقد استشكل مثل هذا السؤال عند بعض الناس إذ كيف يسأل وهو علام الغيوب؟ والحق أنه لا إشكال في ذلك وبيان ذلك من وجوه:

الأول: أنه قد قيل: إن هذا السؤال وجوابه، إنما يكون بعد بعث الخلائق وحشرهم إلى رب العالمين، وأن الخلق كلهم يجيبونه، كما سبق نقله عن ابن جريج، وحينئذ، فلا إشكال.
وقد روي هذا القول عن ابن مسعود رضي الله عنه، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٢٨٠/٧) إلى عبد بن حميد، وحينئذ، فالسؤال والجواب على ظاهره، وقد أجاب الخلائق ربهم عن سؤاله
الثاني: أنه إذا قُدِّر أن الجواب ليس من الخلائق، وإنما السائل، والمجيب: هو رب العالمين، كما نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: « إذا هلك مَن في السموات وَمَنْ في الأرْض، فلمْ يَبْقَ إلاّ اللّه قال: لمن الْمُلْكُ الْيَوْمَ، فلا يُجيبُهُ أحَدٌ، فَيَرُدُّ عَلى نَفْسه: للّه الْواحد الْقهّار»؛ فليس في ذلك إشكال أيضًا؛ فإن مقاصد السؤال البلاغية أوسع بكثير من مجرد الاستفهام عن أمر لم يكن معلومًا للسائل؛ كما في الصحيحين من حديث أبي هُرَيْرَةَ عندما يسأل الله الملائكة عن حال العباد: «كيف تركتم عبادي...» الحديث.
يسألهم وهو أعلم بهم.

فليس القصد من السؤال هنا: الاستعلام عن حال العباد، كما هو مقرر معلوم، وكما في الحديث نفسه (وهو أعلم بهم)، وإنما الحكمة من ذلك: بيان شرف هؤلاء العباد، والتنويه بعظيم شأنهم، والإشادة بفضلهم عند الملائكة.
ومن مقاصد السؤال، ما قد يكون عكس ذلك، والسائل يعلم يقينًا أن المسؤول لا يجيبه. كما في صحيح مسلم (٢٨٧٣) من حديث عمر رضي الله عنه: « إنَّ رَسُولَ اللّه صَلَّى اللّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ، كَانَ يُرِينَا مَصَارِعَ أَهْلِ بَدْرٍ، بالأَمْسِ، يَقُولُ: (هَذَا مَصْرَعُ فُلاَنٍ غَدًا، إنْ شَاءَ اللّه)، قَالَ: فَقَالَ عُمَرُ: فَوَالَّذي بَعَثَهُ بالْحَقِّ مَا أَخْطَؤوا الْحُدُودَ الَّتي حَدَّ رَسُولُ اللّه صَلَّى اللّه عَلَيْه وَسَلَّمَ، قَالَ: فَجُعلُوا في بئْرٍ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، فَانْطَلَقَ رَسُولُ اللّه صَلَّى اللّه عَلَيْه وَسَلَّمَ حَتَّى انْتَهَى إلَيْهمْ، فَقَالَ: (يَا فُلاَنَ بْنَ فُلاَنٍ، وَيَا فُلاَنَ بْنَ فُلاَنٍ، هَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ حَقًّا؟ فَإنِّي قَدْ وَجَدْتُ مَا وَعَدَني اللّه حَقًّا)، قَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللّه كَيْفَ تُكَلِّمُ أَجْسَادًا لاَ أَرْوَاحَ فيهَا؟ قَالَ: (مَا أَنْتُمْ بأَسْمَعَ لمَا أَقُولُ منْهُمْ، غَيْرَ أَنَّهُمْ لاَ يَسْتَطيعُونَ أَنْ يَرُدُّوا عَلَيَّ شَيْئًا).
وفي صحيح البخاري (٣٩٧٦) قَالَ قَتَادَةُ: «أَحْيَاهُمُ اللّه حَتَّى أَسْمَعَهُمْ، قَوْلَهُ، تَوْبيخًا، وَتَصْغيرًا، وَنَقيمَةً، وَحَسْرَةً، وَنَدَمًا»، وهذا أمر شائع في لسان العرب.
ومقامنا هنا مقام إظهار كبريائه وعظمته، وأن من كان ينازعه الملك في الدنيا، بقوله ودعاواه وأكاذيبه، لا يملك -في ذلك اليوم العسير- شيئًا من أمره، ولو بمجرد القول والدعوى باللسان، ولا يقوى أن يتقدم بين يدي رب العالمين بقول، ولا فعل.

ونحو ذلك قرره العلامة الطاهر بن عاشور رحمه الله في التحرير والتنوير (١١٠/٢٤) وزاد: «وَيَجُوزُ أَيْضًا أَنْ يَكُونَ الاسْتفْهَامُ كنَايَةً عَن التَّشْويق إلَى مَا يَردُ بَعْدَهُ منَ الْجَوَاب».

مما يستفاد من الحديث:

ومما يستفاد من الحديث بخلاف ما سبق بيانه:
١- إثبات صفة القبض لله، وأن الله يقبض ويطوي، وهي من الصفات الفعلية.
٢- وفيه إثبات اسم الملك لله، قال تعالى: «وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ» (الزمر:٦٧).
٣- وفيه إثبات عظمة الرب عز وجل، وأن هذه المخلوقات العظيمة لا تساوي شيئاً بالنسبة لعظمة الله، وجاء في الحديث الآخر: (أن الله تعالى يجعل السماوات يوم القيامة على أصبع،

والأرضين على أصبع، والماء والثرى على أصبع، والجبال على أصبع، وسائر خلقه على أصبع، ثم يهزهن بيده، ويقول: أنا الملك، أين ملوك الأرض؟).

وفي الحديث الآخر: (ما السماوات السبع والأرضون السبع في كف الرحمن إلا كخردلة في يد أحدكم)، والخردلة هي الحبة الصغيرة.

٤- ثم هو رد على من ضلَّ في باب الصفات كالجهمية، وهم طائفة من المبتدعة يخالفون أهل السنة في كثير من الأصول كمسألة الرؤية وإثبات الصفات. يُنسَبون إلى جهم بن صفوان من أهل الكوفة كما أفاده الإمام ابن ماجه من تبويبه على الحديث.

٥- ثم هو يفيد في أن الاعتقاد بما في هذا الحديث من مسائل عقدية هو من جماع توحيد الله عز وجل، كما أفاده في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٢/٦١٢)؛ إذ بوب عليه قائلاً: بَابُ جُمَّاعِ تَوْحِيدِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَصِفَاتِهِ وَأَسْمَائِهِ وَأَنَّهُ حَيٌّ قَادِرٌ عَالِمٌ سَمِيعٌ بَصِيرٌ مُتَكَلِّمٌ مُرِيدٌ بَاقٍ.

٦- ومما يستفاد من الحديث غير ما سبق أمر يستدعي التأمل: إذ الحديث مخرج من الإمام البخاري في كتاب التفسير؛ فهو تفسير لقول الله تبارك وتعالى في سورة الزمر «والأرض جميعًا قبضته يوم القيامة»، ثم هو بعد ذلك مخرج عنده في كتاب التوحيد فهو مقرِّر لبعض المسائل العقدية، ثم هو مخرَّج أيضًا في كتاب الرقاق، وهذا معناه أن علوم الشرع جميعًا قرآنًا وسنة سواءً عقيدة وشريعة إنما هي متكاملة خادمة في آخر الأمر في ترقيق القلب وتعبيده لرب العالمين، وهو المطلب الأوحد من خلق الإنسان الذي إليه تؤول كل المطالب المشروعة.

وقفة أخيرة:

هذا وإن كانت لنا وقفة فلتكن مع اسم الله الملك؛ إذ صارت فتنة ملوك الأرض لعباد الله مرئية بين مفتتن بقوتهم فصار في جانبهم، فقَبِلَهم بكل ما هم عليه إن بحق أو بباطل، فنسي بذلك أنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، وبين منتفع من صحبتهم فيراهم قد ملكوا الدنيا فسار لهم خادمًا يرجو من خدمتهم نوالاً.

والحق أن يعطى كل ذي حق حقه، فلا إفراط يرفع عبدًا عن قدره ولا تفريط لا يعطي لإنسان حقه، ومدار كل على حنيفية سمحة وشرع مرتضى من ملك الملوك.

واسم الله الملك معناه: أن الله سبحانه هو الملك، الذي له غاية الجلالة والمهابة، الذي ينفذ أمره في ملكه؛ قال الله تعالى: «هو الله الذي لا إله إلا هو الملك»، قال الله سبحانه: «قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء». قال أميَّة بن أبي الصلت:

لكَ الحمدُ والنَّعماءُ والفضْلُ ربَّنا
ولا شيْءَ أعلَى منكَ جِداً وأمْجدُ
مليْكٌ على عرْشِ السَّماءِ مهيْمنٌ
لعزَّتهِ تعْنُو الوجوهُ وتسْجُدُ

وإن من يتأمل خطاب القرآن - كلام الله- يجد الرب سبحانه وتعالى ملكاً له الملك كله، وله الحمد كله، أزِمَّة الأمور كلها بيده، ومصدرها منه، ومردها إليه..... منفرداً بالخلق والتدبير، يسمع ويرى، ويعطي ويمنع، ويثيب ويعاقب، ويكرم ويهين، ويخلق ويرزق، ويميت ويحيي، ويقدر ويقضي ويدبر، الأمور نازلة من عنده دقيقها وجليلها وصاعدة إليه، لا تتحرك ذرة إلا بإذنه، ولا تسقط ورقة إلا بعلمه.

يُذَكِّرُ عباده بفقرهم إليه، وشدة حاجتهم إليه، وأنهم لا غنى لهم عنه طرفة عين ويَذكرُ غناه عنهم.. وأنه الغني بنفسه عن كل ما سواه، وكل ما سواه فقير إليه بنفسه، وأنه لا ينال أحد ذرة من الخير فما فوقها إلا بفضله ورحمته، ولا ذرة من الشر فما فوقها إلا بعدله وحكمته.. وأنه مع ذلك مقيل عثراتهم وغافر زلاتهم (ينظر: الفوائد، للإمام ابن القيم ص ٢٨).

هو الملك الحق المبين القاهر، الذي قد دانت له الخليقة، وعنت له الوجوه، وذلت لعظمته الجبابرة، وخضع لعزته كل عزيز.

مليكٌ على عرش السماء مهيمنٌ
لعزته تعنو الوجوه وتسجد

(ينظر: الصلاة وحكم تاركها، للإمام ابن القيم ١/٢٠٤-٢٠٧).

والحمد لله رب العالمين.

مع الرسول صلى الله عليه وسلم في العيد

إعداد/ د . أحمد منصور سبالك

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعد:

تقبل الله منا ومنكم الصيام والقيام، وأعاد علينا مثل هذه الأيام والأمة الإسلامية في خير وفضل.

لا يزال الحديث مستمرًا مع من يفكر في دين الله تعالى ويسمي نفسه «بالمفكر الإسلامي»، وأقول له:

متى يكون العيد عندكم؟

كيف هي شعائره؟

وأسأل هذه الأسئلة لأنه لما فكّر في دين الله تعالى رفض سنة نبيه بدعاوى لا أصل لها.فوصل بتفكيره إلى إنكار أحاديثه صلى الله عليه وسلم، فلهذا وجب هذا السؤال، وغيره له ولمثله.

لاعتقادنا في سنة نبينا صلى الله عليه وسلم المتمثلة في صدق الأحاديث التي نُقلت ورُويت عنه صلى الله عليه وسلم، لكل هذا تتضح لنا شعائر العيد وتحدد، فمثلاً: أخبرنا نبينا صلى الله عليه وسلم بتحديد يوم العيد في قوله: «صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته»؛ ففيه بيان بأن يوم العيد، يوم الفطر، يكون برؤية هلال شوال، الذي ينتهي معه صيام رمضان، حتى وإن غمّ علينا ولم نرَ الهلال؟ قال صلى الله عليه وسلم: «فإن غمّ عليكم فاقدروا له».

ووضح لنا صلى الله عليه وسلم طريقة التقدير كما روي ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّا أُمَّةٌ أُمِّيَّةٌ لا نَكْتُبُ وَلا نَحْسُبُ، الشَّهْرُ هَكَذَا وَهَكَذَا، يَعْنِي مَرَّةً تِسْعَةً وَعِشْرِينَ وَمَرَّةً ثَلاثِينَ» (متفق عليه).

فالشهر إما ثلاثون ليلة أو تسع وعشرون ليلة.

وما كان من كل ذلك إلا بيان وتوضيح لما أجمل في قوله تعالى: «يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ» (البقرة:١٨٩). فكيف نتخذ هذه الأهلة مواقيت؟ كانت الإجابة في سنة الحبيب صلى الله عليه وسلم- كما وضحنا.

تعرفنا على يوم العيد؟ والسؤال: ما هي شعائره، وأقصد بالشعائر ما يُفعل في ذلك اليوم من أعمال، مثل: من أكل تمرات، ثم الخروج إلى مصلى العيد بملابس جديدة، ثم صلاة العيد بالهيئة المعروفة من ركعتين، ثم خطبة العيد، ثم التهاني فيما بيننا بيوم العيد، ثم الرجوع بطريق غير التي سلكها في الذهاب للمصلى، ثم زيارة الأهل والأقارب للتهنئة بالعيد.

حتى الحُيَّض من النساء تحضر العيد في المصلى وتهلل وتكبر مع باقي النساء، ويعتزلهن عند الصلاة. كل هذه المواسم والشعائر في هذا اليوم من أعلمنا بها؟ أتعجب ممن ينكرون أحاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم، ويستمسكون بهذه الشعائر التي لو لم يطل بنا المقام لسردنا لك أيها القارئ الكريم الأحاديث التي تشير لهذه الشعائر، أتعجب من أولئك مع إنكارهم لأحاديث المصطفى التي تشير إلى هذا، ويفعلون هذه الشعائر فأنى لهم ذلك؟!

خلطٌ عجيب بين ما يتفوهون به وبين ما يقومون به، فإن أفعالهم تدل على أنهم يهرفون بما لا يعرفون، ولذا تحدثنا في العدد الماضي عن شهر رمضان وفي هذا العدد عن شعائر العيد لنسأل هؤلاء: أين أنتم من سنة الحبيب صلى الله عليه وسلم التي بيَّنت لنا أحكام الصيام وشعائر العيد، وغيرها من مجمل آيات القرآن الكريم؟

وإلى لقاء قريب نتناول فيه شبهة جديدة أوردها هؤلاء على سنة الحبيب صلى الله عليه وسلم.

أسأل الله أن يتقبل منا ومنكم صالح الأعمال، وصل اللهم وسلم وبارك على محمد وآله وصحبه وسلم.

القسم الثاني

الحلقة (٦٠)

درر البحار في تحقيق ضعيف الأحاديث القصار

إعداد/ علي حشيش

٥٥٩- "تَقُولُ النَّارُ لِلْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: جُزْ يَا مُؤْمِنُ؛ فَقَدْ أَطْفَأَ نُورُكَ لَهَبِي".

الحديث لا يصح: أخرجه الإمام الحافظ ابن عدي في الكامل (٣٩٥/٦) (ت٢٦٠/١٨٦١) من حديث يعلى بن أمية، وهو يعلى بن أمية بن أبي عبيدة مرفوعًا.

وعلته: منصور بن عمار الواعظ أبو السري، قال ابن عدي: منكر الحديث، وهذا الحديث بهذا الإسناد لم يروه عن بشير بن طلحة غير منصور بن عمار، وقد أورد الحديث الإمام الذهبي في الميزان (١٨٧/٤/ ٨٧٩٠)، وجعله من مناكير منصور بن عمار الذي قال فيه ابن عيينة: ما أراه إلا شيطاناً.

٥٦٠- "سِينَ بلالٍ عند الله شِين".

الحديث لا يصح: أورده الحافظ السخاوي في «المقاصد» (ح٥٨٢)، ونقل عن الحافظ ابن كثير أنه ليس له أصل ولا يصح.

٥٦١- " لا تُعَلِّمُوا نساءكم الكتابة، ولا تُسكِنُوهن العلالي".

أخرجه ابن عدي في الكامل (١٥٢/٢) (٣٤٦/٢١) من حديث ابن عباس مرفوعًا.

وعلته: جعفر بن نصر أبو ميمون العنبري الكوفي، قال ابن عدي: حدث عن الثقات بالبواطيل وليس بالمعروف.

وقال أيضًا: لجعفر بن نصر غيرُ ما ذكرت من الأحاديث موضوعات على الثقات.

قلت: لذلك أخرج هذا الحديث الإمام ابن الجوزي في الموضوعات (٢٦٨/٢) من طريق ابن عدي، وقال ابن الجوزي: لا يصح.

٥٦٢- " مَن قَضَى لأخيه حاجة كنت واقفاً عند ميزانه، فإن رَجَحَ وإلا شَفَعتُ له".

الحديث لا يصح: أخرجه أبو نعيم في الحلية (٢٥٣/٦) من حديث ابن عمر مرفوعًا، قال أبو نعيم: غريب من حديث مالك، تفرد به الغفاري.

قلتُ: والغفاري هو عبد الله بن إبراهيم بن الهيثم الغفاري، قال الإمام الذهبي في الميزان (٣٨٨/٢/ ٤١٩٠): هو عبد الله بن أبي عمرو المدني يدلسونه لوهمه، نسبه ابن حبان إلى أنه يضع الحديث، وقال الدارقطني: حديثه منكر.

٥٦٣- " اللِّصُّ مُحَارِبٌ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ فَاقْتُلُوهُ فَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ إِثْمٍ فَعَلَيه".

الحديث لا يصح: أخرجه ابن حبان في «المجروحين» (٢٠٨/٢) من حديث عائشة مرفوعًا، وعلته فرات بن زهير، قال ابن حبان: هو شيخ يروي عن مالك بن أنس ما لم يحدث به مالك قط، لا تحل الرواية عنه، ولا الاحتجاج به.

وعزاه الحافظ في اللسان (٥٠٢/٤) (٦٥٢١/١٠) إلى الدارقطني في غرائب مالك والخطيب في الرواة عن مالك، وأخرجه ابن الجوزي في الموضوعات (١٢٦/٣) من طريق ابن حبان وقال: «هذا حديث موضوع على رسول الله صلى الله عليه وسلم».

٥٦٤- " فَازَ بِاللذةِ الجَسُورُ".

الحديث لا يصح: أورده الحافظ السخاوي في المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة (ح٧٣٥)، وقال: لا أعرفه.

وأورده السمهودي في الغماز على اللماز في الموضوعات المشهورات (ح١٧٤)، ونقل عن الحافظ ابن حجر أنه قال: لا أعرفه.

٥٦٥- " فِي آخر الزَّمَانِ يَنْتَقِلُ بَرْدُ الرُّومِ إِلَى الشَّامِ، وَبَرْدُ الشَّامِ إِلَى مِصْرَ".

الحديث لا يصح: أورده السخاوي في المقاصد الحسنة (ح٧٤٩)، وقال: يجري على الألسنة كثيرًا- يعني الحافظ ابن حجر- يحكيه بقوله: يقال مع الإفصاح بأنه لا أصل له.

٥٦٦- "إذا تزيَّنَ الرجلُ لعملِ الآخرةِ، وهو لا يريدُها ولا يطلبُها، لُعِنَ في السموات والأرض".

الحديث لا يصح: أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٣٩٠/٥- ط. المعارف بالرياض) (ح٤٧٧٣) من حديث أبي هريرة مرفوعًا، وقال: لم يرو هذا الحديث عن الزهري إلا ابن أبي ذئب تفرد به إسماعيل بن يحيى، وآفته: إسماعيل بن يحيى هذا، وهو إسماعيل بن يحيى التيمي، أورده الحافظ الذهبي في الميزان (٢٥٣/١، ت٩٦٥) مبينًا أقوال أئمة الجرح والتعديل فيه.

قال صالح بن محمد بن جزرة: كان يضع الحديث.

وقال الأزدي: ركن من أركان الكذب لا تحل الرواية عنه.

وقال أبو علي النيسابوري الحافظ والدارقطني والحاكم: كذاب، ثم قال الإمام الذهبي: مجمع على تركه. اهـ.

الثقة في رزق الله من الإيمان

إعداد/ صلاح نجيب الدق

الحمدُ لله الذي أكمل لنا الدين، وأتمّ علينا النعمة، وجعل أمّتنا خير أمّة، وبعث فينا رسولاً منّا يتلو علينا آياته، ويزكّينا ويعلّمنا الكتاب والحكمة. والصلاة والسلام على نبيّنا محمّد، الذي أرسله ربّه شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا.

أمّا بعد: فإن الله تعالى خلق جميع المخلوقات، وقدّر لهم أرزاقهم إلى يوم الدين، فلا تزيد هذه الأرزاق ولا تنقص عما قدّره الله سبحانه لعباده. من أجل ذلك أحببت أن أذكّر نفسي وأحبابي قرّاء مجلة التوحيد الكرام، بوجوب الثقة في رزق الله تعالى. فأقول وبالله تعالى التوفيق:

معنى الرزق:

الرِّزْقُ: العَطاءُ. وهُوَ كُلُّ مَا يَنْتَفِعُ به المسلمُ من الحلال. يُقالُ: رزقُ اللهِ: أيْ عَطاءُ اللهِ تَعَالى. (لسان العرب- لابن منظور- ج ١٠- ص١١٥).

الرزاق من أسماء الله الحسنى:

قَالَ اللهُ تَعَالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾ (الذاريات: ٥٦- ٥٨).

قَوْلُه تَعالى: (الرَّزَّاقُ) أيْ الَّذي يُعْطي خَلْقَه منْ غَيْر احْتِيَاجٍ إليْهِمْ. قَوْلُه تعالى: (ذُو القُوَّةِ المَتِينُ) أيْ الشَّديدُ القَوِيُّ. (تفسير القرطبي- ج١٧- ص٥٦).

روى الترمذيُّ عَنْ أَنَس بْن مَالِكٍ، رضي الله عنه، قَالَ: غَلا السِّعْرُ عَلَى عَهْد رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، سَعِّرْ لَنَا، فَقَالَ «إنَّ اللهَ هُوَ المُسَعِّرُ، القَابِضُ، البَاسِطُ، الرَّزَّاقُ، وَإِنِّي لأَرْجُو أَنْ أَلْقَى رَبِّي وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْكُمْ يَطْلُبُنِي بِمَظْلَمَةٍ فِي دَمٍ وَلا مَالٍ» (حديث صحيح: صحيح الترمذي- للألباني حديث: ١٠٥٩).

أرزاق المخلوقات عند الله تعالى:

(١)- قال الله تعالى: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾ (الذاريات: ٢٢، ٢٣).

قال ابن جرير الطبري (رحمه الله): يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ مُقْسمًا لِخَلْقه بِنَفْسه: (فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ)، إنَّ الَّذي قُلْتُ لَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ: إنَّ فِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ لَحَقٌّ، كَمَا حَقٌّ أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ. (تفسير الطبري- ج ٢١- ص٥٢٣).

(٢)- قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٨﴾ ۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ﴾ (فصلت ٩: ١٠).

(٣)- قال الله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ (هود: ٦).

قَالَ ابن كثير (رحمه الله): أَخْبَرَ تَعَالَى أَنَّهُ مُتَكَفِّلٌ بِأَرْزَاقِ المَخْلُوقَاتِ، مِنْ سَائِر دَوَابِّ الأَرْض، صَغِيرِهَا وَكَبِيرِهَا، بَحْرِيِّهَا، وَبَرِّيِّهَا. (تفسير ابن كثير- ج ٤- ص٣٠٥).

عظمة قدرة الله في رزقه:

قال تعالى: (وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ) (الحجر: ٢١).

عَنْ أَبِي ذَرٍّ الغفاري، رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، فِيمَا رَوَى عَنِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: «يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلاَّ مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ، إِلاَّ مَنْ أَطْعَمْتُهُ، فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ، إِلاَّ مَنْ كَسَوْتُهُ، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي، فَتَنْفَعُونِي، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلاَّ كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ، يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا، فَلْيَحْمَدِ اللهَ

وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ، فَلاَ يَلُومَنَّ إِلاَّ نَفْسَهُ.» (مسلم حديث ٢٥٧٧).

الله تعالى يرزق المخلوقات الضعيفة بلا سبب:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: (وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) (العنكبوت: ٦٠).

قَالَ الإمامُ ابن كثير(رحمه الله): قَوْلُهُ: (وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لا تَحْمِلُ رِزْقَهَا) أَيْ: لا تُطِيقُ جَمْعَهُ وَتَحْصِيلَهُ وَلا تُؤَخِّرُ شَيْئًا لِغَدٍ.

قَوْلُهُ: (اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ) أَيِ: اللَّهُ يُقَيِّضُ لَهَا رِزْقَهَا عَلَى ضَعْفِهَا، وَيُيَسِّرُهُ عَلَيْهَا، فَيَبْعَثُ إِلَى كُلِّ مَخْلُوقٍ مِنَ الرِّزْقِ مَا يُصْلِحُهُ، حَتَّى الذَّرَّ فِي قَرَارِ الأَرْضِ، وَالطَّيْرَ فِي الْهَوَاءِ وَالْحِيتَانَ فِي الْمَاءِ. (تفسير ابن كثير- ج٦- ص٢٩٢).

الله تعالى يرزقُ الرضيعَ الضعيفَ، لبناً صافياً، ليكون طعامه وشرابه، وكذلك يرزقُ سبحانهُ الطيورَ والحيواناتِ العمياءَ، والضعيفةَ، التي لا تستطيع أن تسعى للحصول على أرزاقها، وهذا أمْرٌ معلومٌ لجميع الناس.

نبينا صلى الله عليه وسلم يحثنا على الثقة برزق الله:

(١)- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، رضي الله عنهما، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ. قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ. (مسلم حديث ٢٦٥٣).

(٢)- عن عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود، رضي الله عنه، قال: قال: رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ: إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ مَلَكًا فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ وَيُقَالُ لَهُ اكْتُبْ عَمَلَهُ وَرِزْقَهُ وَأَجَلَهُ وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ.. (البخاري حديث ٣٢٠٨، ومسلم حديث ٢٦٤٣).

(٣)- عَنْ أَبِي أُمَامَةَ الباهلي، رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ(أي جبريل) نَفَثَ(ألقى) فِي رُوعِي(قلبي) أَنَّ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَكْمِلَ أَجَلَهَا وَتَسْتَوْعِبَ رِزْقَهَا فَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ وَلاَ يَحْمِلَنَّ أَحَدَكُمُ اسْتِبْطَاءُ الرِّزْقِ أَنْ يَطْلُبَهُ بِمَعْصِيَةٍ فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يُنَالُ مَا عِنْدَهُ إِلاَّ بِطَاعَتِهِ» (حديث صحيح)(صحيح الجامع للألباني حديث: ٢٠٨٥).

(٤)- عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ الرِّزْقَ لَيَطْلُبُ الْعَبْدَ أَكْثَرَ مِمَّا يَطْلُبُهُ أَجَلُهُ» (حديث حسن: صحيح الجامع للألباني- حديث ١٦٣٠).

قَالَ عبد الرؤوف الْمُنَاوِيُّ (رحمه الله): «لأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى وَعَدَ بِهِ وَضَمِنَهُ وَوَعْدُهُ لا يَتَخَلَّفُ وَضَمَانُهُ لا يَتَأَخَّرُ».

(فيض القدير- عبد الرؤوف المناوي- ج٤- ص٧١).

(٥)- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود، رضي الله عنهُ، قَالَ: أَضَافَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضَيْفًا، فَأَرْسَلَ إِلَى أَزْوَاجِهِ يَبْتَغِي عِنْدَهُنَّ طَعَامًا، فَلَمْ يَجِدْ عِنْدَ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ وَرَحْمَتِكَ، فَإِنَّهُ لا يَمْلِكُهَا إِلاَّ أَنْتَ» قَالَ: فَأُهْدِيَ إِلَيْهِ شَاةٌ مَصْلِيَّةٌ (أي مَشْوِيَّةٌ) فَقَالَ: «هَذِهِ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ، وَنَحْنُ نَنْتَظِرُ الرَّحْمَةَ» (حديث صحيح: السلسلة الصحيحة للألباني- ج٤- ص٥٧- حديث ١٥٤٣).

الثقة بالرزق عند سلفنا الصالح:

عن عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَنْ نَتَصَدَّقَ فَوَافَقَ ذَلِكَ عِنْدِي مَالاً فَقُلْتُ: الْيَوْمَ أَسْبِقُ أَبَا بَكْرٍ إِنْ سَبَقْتُهُ

يومًا. قال: فجئتُ بنصف مالي، فقال: رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: ما أبقيتَ لأهلك؟ قلتُ: مثله. وأتى أبو بكر بكل ما عنده، فقال: يا أبا بكر ما أبقيتَ لأهلك؟ قال: أبقيتُ لهم الله ورسوله (أي رضاهما). قلتُ: والله لا أسبقه إلى شيءٍ أبدًا. (حديث حسن: صحيح الترمذي للألباني- حديث ٢٩٠٢).

ونذكر بعض أقوال سلفنا الصالح في الرزق:

(١) قال علي بن أبي طالب، رضي الله عنه،: إن العبدَ ليَحرم نفسه الرِّزقَ الحلال بترك الصبر، ولا يزداد على ما قُدِّرَ له. (ربيع الأبرار- جار الله الزمخشري- ج٥- ص٣٣٧).

(٢) قال عبدُ الله بن مسعود (رضي الله عنه): «اليقينُ أنْ لا تُرضيَ النَّاسَ بسخط الله، ولا تحمَدَ أحدًا على رزق الله، ولا تلُمْ أحدًا على ما لم يؤتك الله عزَّ وجلَّ، فإنَّ الرِّزقَ لا يسوقُهُ حرصُ حريص، ولا يردُّهُ كراهيةُ كاره، فإنَّ الله تبارك وتعالى بقسطه وعلمه وحلمه جعل الرَّوْحَ والفرجَ في اليقين والرِّضا، وجعل الهمَّ والحزنَ في الشك والسُّخط» (اليقين- لابن أبي الدنيا- ص٤٧- رقم: ٣١).

(٣) قال أبو سعيد الخدري، رضي الله عنه،: أيُّها النَّاسُ لا تَحملنَّكُمُ العُسْرةُ على طلب الرِّزق من غير حلِّه. (غذاء الألباب- للسفاريني- ج٢- ص٥٢٧).

(٤) عن ابن عبَّاس، رضي الله عنهما، أنَّه سُئل عن هذه الآية: (مَنْ عمِلَ صالحًا من ذكرٍ أو أنثى وهو مؤمنٌ فلنحيينَّهُ حياةً طيِّبةً) فقال: الحياةُ الطيِّبةُ: الرِّزقُ الحلالُ، وإذا صار إلى ربه جازاه بأحسن ما كان يعمل. (سنن سعيد بن منصور- رقم: ١٢٤٧).

الابتلاء بالتضييق في الرزق:

قد يكون التَّضييقُ في الرِّزق اختباراً من الله تعالى لبعض عباده الصالحين.

قال تعالى: (وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ) (البقرة: ١٥٥: ١٥٧).

وقال الإمامُ ابنُ كثير (رحمه الله): أخبرَ تعالى أنَّه يبتلي عبادَهُ المؤمنين أي: يختبرُهُم ويمتحنُهُم، فتارةً بالسَّرَّاء، وتارةً بالضَّرَّاء من خوفٍ وجوعٍ، فإنَّ الجائعَ والخائفَ كلٌّ منهما يظهرُ ذلك عليه؛ ولهذا قال: لباسَ الجوعِ والخوف. وقال هاهنا (بشيءٍ من الخوفِ والجوعِ) أي: بقليلٍ من ذلك (ونقصٍ من الأموال) أي: ذهابُ بعضها (والأنفس) كموت الأصحاب والأقارب والأحباب (والثمرات) أي: لا تُغِلُّ (لا تثمر) الحدائقُ والمزارعُ كعادتها. كما قال بعض السَّلف: فكانت بعضُ النَّخيلِ لا تُثمرُ غير واحدة. وكلُّ هذا وأمثالُهُ ممَّا يختبرُ اللهُ به عبادَهُ، فمن صبرَ أثابهُ الله ومن قنطَ أحلَّ اللهُ به عقابهُ. ولهذا قال: (وبشر الصَّابرين) (تفسير ابن كثير- ج١- ص٤٦٧).

الشيطان يخوف المسلم من الفقر:

قال الله تعالى: (الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ ۖ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) (البقرة: ٢٦٨).

وقال ابنُ عبَّاس (رضي الله عنهما): اثنان من الله، واثنان من الشَّيطان، الشَّيطانُ يعدُكُمُ الفقرَ، يقولُ: لا تُنفق مالك، وأمسكه عليك، فإنَّك تحتاجُ إليه، ويأمرُكم بالفحشاء، والله يعدُكُم مغفرةً منه على هذه المعاصي وفضلاً في الرِّزق. (تفسير الطبري- ج٥- ص٥).

وقال الإمامُ ابن جرير الطبري (رحمه الله)- عند تفسيره لهذه الآية-: يعني بذلك تعالى ذكرُهُ: الشَّيطانُ يعدُكُم أيُّها النَّاسُ بالصَّدقة وأدائكُم الزَّكاةَ الواجبةَ عليكم في أموالكم أن تفتقروا. قولُهُ: (ويأمُرُكم بالفحشاء) يعني: ويأمُرُكم بمعاصي الله عزَّ وجلَّ، وتركِ طاعته. قولُهُ (والله يعدُكُم مغفرةً منه) يعني أنَّ الله عزَّ وجلَّ يعدُكُم أيُّها المؤمنون أن يستُرَ عليكم فحشاءَكُم بصفحه لكم عن عقوبتكم عليها، فيغفرَ لكم ذنوبَكُم بالصَّدقة التي تتصدَّقون. قولُهُ: (وفضلاً) يعني: ويعدُكُم أن يُخلف عليكم من صدقتكم، فيتفضَّل عليكم من عطاياه ويُسبغ عليكم في أرزاقكم. (تفسير الطبري- ج٥- ص٥).

قولُهُ تعالى: (واللهُ واسعٌ عليمٌ) يعني تعالى ذكرُهُ: والله واسعُ الفضل الذي يعدُكُم أن يُعطيكُمُوهُ من فضله وسعة خزائنه، عليمٌ بنفقاتكم وصدقاتكم التي تُنفقون وتصدَّقون بها، يُحصيها لكُم حتَّى يُجازيكُم بها عند مقدمكم عليه في آخرتكم. (تفسير الطبري- ج٥- ص٨).

وآخرُ دعوانا أن الحمدُ لله ربِّ العالمين. وصلَّى الله وسلَّم على سيِّدنا محمَّد، وعلى آله، وأصحابه، والتَّابعين لهُم بإحسانٍ إلى يوم الدِّين.



منبر الحرمين

حال المسلم بعد رمضان

إعداد/ د. خالد بن علي الغامدي
إمام المسجد الحرام

إن الحمد لله، نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه، ونعوذُ بالله من شُرور أنفُسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضلَّ له، ومن يُضلل فلا هاديَ له، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريكَ له، وأشهدُ أن محمدًا عبدُه ورسولُه، صلَّى الله عليه وعلى آله وصحبه، والتابعين لهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

أما بعد: فاتَّقوا اللهَ- عباد الله- وراقبُوه، واعلَموا أن تقوَى الله أكبرُ وأجلُّ أسباب النصر والتَّمكين والتوفيق الإلهيِّ، وما سبقَ مَن سبَق، ولا ارتفعَ من ارتفَع، ولا عزَّ من عزَّ إلا بما وقَرَ في القلوب ورسَخ؛ من تعظيم الله وإجلاله وتقواه، وسلامة الصُّدور وسخاوَة الأنفُس، ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ (الطلاق: ٢، ٣).

أمة الإسلام: ها نحن قد فارَقنا عن قريب أيامًا من أعظم أيام الله المشهُودة، وشهرًا هو خيرُ شهُور السنة، وقد كنا من قبلُ نُهيِّئُ النفوسَ لاستقباله والإعداد له، ثم في سرعة عجيبة انقضَت أيامُه ولياليه المُباركَة بما حمَّلنَاها من أعمال، خُتِم عليها فلا تُفتَحُ صحائفُها إلا بين يدَي العليم الخَبير يوم العَرض الأكبر عليه- سبحانه-.

فمن وجدَ خيرًا فليحمَد الله، وهنيئًا له القبولَ والرِّضا، والدخولَ من باب الريَّان إلى جنات النعيم؛ حيث يُوفَّى الصائمون الصابرون أجرَهم بغير حساب، ومن وجدَ غيرَ ذلك فلا يلُومنَّ إلا نفسَه، ولا يُعاتبُ إلا ذاتَه، فالله تعالى قد بلَّغَه الشهرَ المُبارَك، وفتحَ له فيه أبوابَ رحمته وفضله، ولكنه أبَى واستحبَّ العمَى على الهُدى، وكلُّكم يدخلُ الجنةَ إلا من أبَى.

رجاء المسلم أن يتقبل الله عمله:

عباد الله: إن من أهم الأمور عند المُسلم بعد انتهائه من العبادات والأعمال: أن يتقبَّلها الله منه، فتراه يعمل ويتقرَّبُ إلى الله بصدقٍ وإخلاص، لا رياءَ ولا سُمعة، ولا حُبًّا في مدحٍ أو ثناء، ثم هو يخافُ ألا يتقبَّلَ الله منه؛ لأن الله طَيبٌ لا يقبلُ إلا طيبًا، والله- سبحانه وتعالى- يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ (المائدة: ٢٧)، يعني: الذين اتَّقوا اللهَ في ذلك العمل، وعمِلوه بإخلاصٍ وصدقٍ، على وفق السنة، وهم مع ذلك في خوفٍ وإشفاقٍ ألا يقبَلَه الله منهم.

ولذلك كان من وصف عباد الله المُؤمنين: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ﴾ (المؤمنون: ٦٠).

وقد سألت عائشة- رضي الله عنها- النبيَّ- صلى الله عليه وآله وسلم- عن هذه الآية: من هم أهلُها؟ أهمُ الذين يشرَبون الخمرَ ويسرقون ويزنُون؟ فقال- عليه الصلاة والسلام-: «لا يا ابنةَ الصدِّيق، ولكنَّهم الذين يُصلُّون ويصُومون ويتصدَّقون، ويخافُون ألا يُقبَل منهم» (أخرجه أحمد والترمذي).

وقال الحسنُ البصريُّ- رحمه الله-: «يعمَلون ما عملوا من أعمال البرِّ، وهم يخافون ألا يُنجِّيَهم ذلك من عذاب ربِّهم، إن المؤمن جمعَ إحسانًا وخشية، وإن المنافقَ جمعَ إساءةً وأمنًا».

إن المسلم الصادقَ يمشي في دُروب الحياة سائرًا إلى الله على جناحَي الرجاء والأمل، والخوف والحذَر، فيعمل الصالحات، ويرجُو من الله القَبول، ويأمَل في رحمة أرحم الراحمين وكرمه، وهو مع ذلك يخشَى عذابَ الله وسخَطَه، ويخافُ من تقلُّب الأحوال، وفُجاءَة النِّقَم، وزوال النِّعَم، وأن يحُولَ الله بينَه وبين قلبه فلا يقبَل منه أعمالَه.

ورُبَّ صائم ليس له من صيامه إلا الجُوعُ والعطَش، ورُبَّ قائم وقارِئ للقرآن ليس له إلا التعبُ والسهر، ورُبَّ مُلبٍّ يُقالُ له: لا لبَّيك ولا سعدَيك. فقبولُ الأعمال عند الله ورضاه عنها، وإثابتُها عليها هو أمنيةُ الصالحين، وبُغيةُ العابدين، وسلوَة السائرين إلى الله- سبحانه-: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ۝٢٤ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةًۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾ (الأنفال: ٢٤، ٢٥).

آفات تعترض المسلم في سيره إلى الله تعالى:

أيها المسلمون: إن من أخطر الآفات التي تعترضُ المُسلمَ في سَيره إلى الله: أن يُصابَ بداء الفُتور والكسَل، ويُبتلَى بآفة الخُمول والانقطاع عن العمل، وقد نعَى الله- سبحانه- على قوم أنهم لا يأتون الصلاةَ إلا وهم كُسالَى، ولا يُنفقُون إلا وهم كارهون. فكيف بمن تفتُر همَّتُه عن العبادة وينقطعُ عنها؟!

وحذَّرَنا- سبحانه وتعالى- من حالة أولئك الذين يُشيدُون بُنيانَ أعمالهم، ويتقرَّبُون إلى الله، ثم ينقطعون وينقُضُون بُنيانَهم، ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِي نَقَضَتۡ غَزۡلَهَا مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثٗا ﴾ (النحل: ٩٢).

وفي «الصحيحين»: أن النبي- صلى الله عليه وآله وسلم- قال لعبد الله بن عمرو بن العاص- رضي الله عنهما-: «يا عبدَ الله! لا تكُن مثلَ فلان، كان يقومُ من الليل، فترك قيامَ الليل».

سبل النجاة من الفتور:

إن الفُتورَ والانقطاعَ يُصيبُ العابدين والعاملين أثناءَ العمل والعبادة وبعدَها، وهو اختبارٌ من الله، وابتلاءٌ لعباده، حتى يعلمَ الصادقَ المُحبَّ من غيره، ويتبيَّنَ من يعبُدُ الله على حرف؛ فإن أصابَه خيرٌ اطمأنَّ به، وإن أصابَته فتنةٌ انقلَبَ على وجهه.

والسعيدُ المُوفَّق هو من يكونُ فُتورُه عارضًا مُؤقَّتًا، وهو في أثناء ذلك مُقيمٌ على السنة والطاعة والاتباع، يُسدِّدُ ويُقارِبُ، ويُعالجُ نفسَه بحكمة وبصيرة، حتى يعودَ مرةً أخرى إلى العمل والطاعات والقُربات بانشراح صدر، وقوة وثبات. هذا هو الصادقُ مع الله الذي علمَ الله إخلاصَه وصدقَه، فوفَّقه وثبَّتَه، ولم تزلَّ قدَمُه في وقت فُتوره، ولم تتبدَّل مفاهيمُه وتتغيَّر علاقتُه بربِّه، ولم تَسُؤ ظنُونُه بربِّه- سبحانه-.

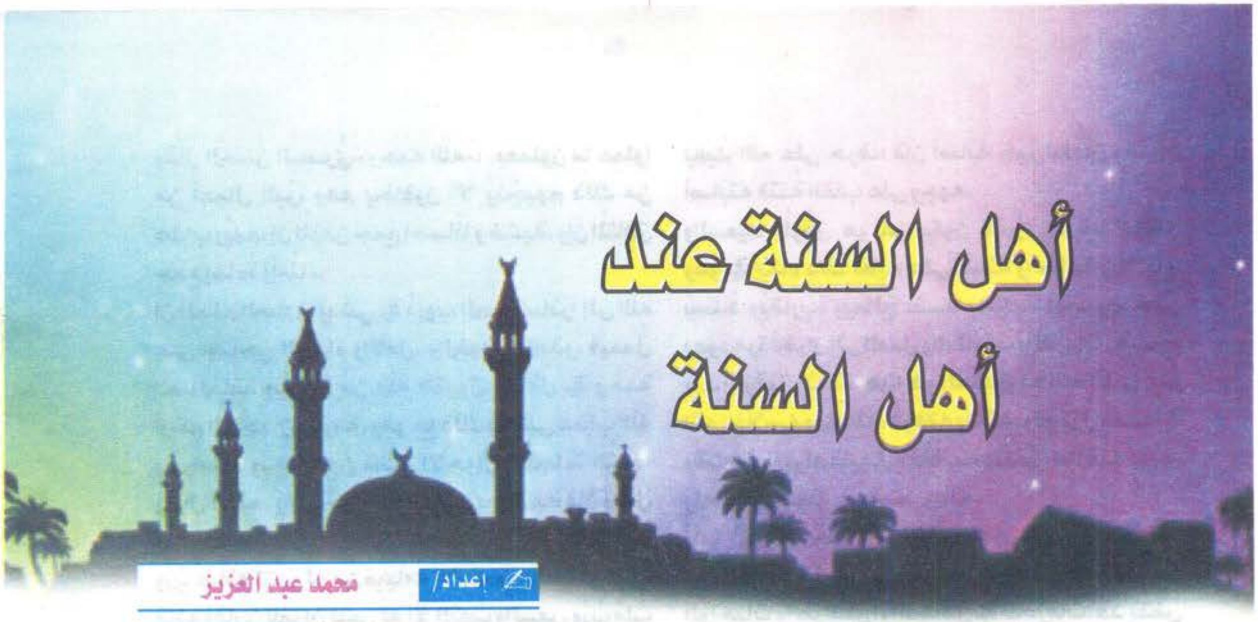
وأما الهالكُ حقًّا فهو الذي كان فُتورُه وانقطاعُه عن العبادة والعمل بوابةً نفذَ منها إلى التخفُّف من الواجبات والفرائض، والتساهُل في المُحرَّمات، قد نقَضَ ما بناه، وانهدَمَ عُراه، وتفسَّخَت عزائمُه، واعتَرَته شياطينُ الإنس والجنِّ، واتبَعَ هواه، فمالَت به الدنيا ذاتَ اليمين وذاتَ الشمال، فإما أن يقعَ في بدعة أو تبديل وتحريف، أو غلُوٍّ وتطرُّف، أو تفريط وتساهُل.

وقد قصَّ الله- سبحانه وتعالى- علينا موقفَ عالم بني إسرائيل، الذي آتاه الله علمًا بآياته، ثم بهَرَته مَباهجُ الدنيا وزينتُها، فاتَّبَع هواه وأخلَدَ إلى الأرض، وفتَرَت همَّتُه عن الحقِّ، وخرجَ عن سَمت العلماء ووقارهم، وانسَلَخ من آيات الله، فوقَعَ في التحريف والتبديل والغواية، ﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ۝١٧٥ وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ ﴾ (الأعراف: ١٧٥، ١٧٦).

عباد الله: إن المُسلم حقًّا من تكونُ تقوَى الله شعارَه طيلةَ عُمره، ودثارَه مُدَّةَ حياته، ويكونُ عمله بالطاعات واجتنابُه المعاصي والخطيئات ديدَنًا له ومنهَجًا وسُلوكًا، يغتنمُ الأوقاتَ والمواسمَ الفاضلةَ في التعبُّد والتقرُّب، ويُعوِّدُ نفسَه الخيراتِ حتى تُصبحَ له عادةً حميدةً، وخُلقًا وسجيَّةً، فإذا انقضَت مواسمُ الخير لم تجده بعدَها غافلاً لاهيًا، أو ناقضًا عزمَ الجِدِّ والاجتهاد ساهيًا.

فالله تعالى لم يجعَل لانتهاء وقت العبادة والتقرُّب إليه أجلاً دون الموت، كما قال- عز وجل-: ﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾ (الحجر: ٩٩).

وصلى الله وسلم وبارَك على نبيِّنا محمد، وآله وصحبه أجمعين.



أهل السنة عند أهل السنة

إعداد/ محمد عبد العزيز

إنَّ الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيِّئات أعمالنا، من يهده الله؛ فلا مُضلَّ له، ومن يضلل؛ فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. وبعد:

فإن سبيل الهدى والنجاة واحد، لا عوج فيه، هو صراط الله المستقيم الذي من تمسك به نجا، ومن استدبره، أو زاغ عنه يمنة أو يسرة هلك.

فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطًا. ثم قال: هذا سبيل الله. ثم خط خطوطًا عن يمينه وعن شماله، ثم قال: هذه سبل، على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه. ثم قرأ: «وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله». (أخرجه أحمد (٤١٤٢)، والدارمي (٢٠٢)، والنسائي في الكبرى (١١١٠٩)).

و هذا السبيل معلوم لا يجهله أحد، وأهله يتصفون بصفات منها:

١- الاعتصام بالكتاب:

قال الله- تعالى-: «واعتصموا بحبل الله جميعًا»، قال ابن عباس رضي الله عنه: القرآن؛ لأنه وصلة بين العباد، وبين ربهم تعالى.

٢- الاعتصام بالسنة:

عن العرباض بن سارية رضي الله عنهما، قال: صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم، ثم أقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب. فقال قائل: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم: كأن هذه موعظة مودع، فماذا تعهد إلينا؟ فقال: أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة، وإن عبدًا حبشيًا؛ فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة» (أخرجه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٨٧١)، وابن ماجه (٤٤)).

٣- الاعتصام بهدي سلف الأمة:

قال الله تعالى: «فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ» (البقرة: ١٣٧- ١٣٨).

فرد الناس لإيمان مثل إيمان الصحابة رضوان الله عليهم، ثم بيَّن أن من تولى عن هذا الإيمان فإنما قد تفرق عن السبيل، واتبع سبيل الفرقة والشقاق.

وانظر لهذه الكلمة لهذا الجليل الذي يقدمه القوم، قال عبد القادر الجيلاني في الغنية لطالبي طريق الحق- عز وجل- (٢٧٧/٢): «فالذي يجب على المريد المبتدئ في هذه الطريقة: الاعتقاد الصحيح الذي هو الأساس، فيكون على عقيدة السلف الصالح أهل السنة القديمة سنة الأنبياء والمرسلين، الصحابة والتابعين، والأولياء

والصديقين».

وقال (١/١٧٥): «أما الفرقة الناجية، فهي أهل السنة والجماعة».

وقال تمييزًا للفرقة الناجية (١/١٧٦): «وما اسمهم إلا أصحاب الحديث وأهل السنة، على ما بينا».

وهذه الفرقة الناجية في منهج تلقيها لا تخرج عن هذه الأصول، فلا تقدم العقل على النقل في الأخبار (العقائد)، ولا في الأحكام (الشرائع)، فليسوا كسائر الفرق التي تجري بهم أهواؤهم حتى ترديهم في مكان سحيق، وتجرهم جرًا بعيدًا عن الاعتصام بهذه الأصول.

وهي تعتقد اعتقادًا جازمًا: أن العقل الصحيح، لا يعارض النقل الصريح، ولو تعارضا؛ فإما أن يكون العقل غير صريح، أو النقل غير صحيح.

قال أبو الحسن الأشعري في مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين في حكاية جملة قول أصحاب الحديث وأهل السنة (١/٣٤٧) في وصفهم: «وينكرون الجدل والمراء في الدين والخصومة في القدر والمناظرة فيما يتناظر فيه أهل الجدل ويتنازعون فيه من دينهم بالتسليم للروايات الصحيحة، ولما جاءت به الآثار التي رواها الثقات عدلاً عن عدل حتى ينتهي ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا يقولون كيف ولا لم؟ لأن ذلك بدعة».

ثم قال (١/٣٥٠): «وبكل ما ذكرنا من قولهم نقول وإليه نذهب وما توفيقنا إلا بالله وهو حسبنا ونعم الوكيل وبه نستعين وعليه نتوكل وإليه المصير».

وقال ابن السمعاني في قواطع الأدلة (١/٣٧٠): «واعلم أن الخطة الفاصلة بيننا وبين كل مخالف: أننا نجعل أصل مذهبنا الكتاب والسنة، ونستخرج ما نستخرج منهما، ونبني ما سواهما عليهما.

- ولا نرى لأنفسنا التسلط على أصول الشرع، حتى نقيمها على ما يوافق رأينا وخواطرنا وهواجسنا، بل نطلب المعاني، فإن وجدناها على موافقة الأصول من الكتاب والسنة؛ أخذنا بذلك، وحمدنا الله تعالى على ذلك.

- وإن زاغ بنا زائغ؛ ضعَّفنا عن سواء صراط السنة، ورأينا أنفسنا قد ركبت البنيان، وبركت الجدد: اتهمنا آراءنا فرجعنا باللائمة على نفوسنا، واعترفنا بالعجز، وأمسكنا عنان العقل؛ لئلا يتورط بنا في المهالك والمهاوي، ولا يعرضنا للمعاطب والمتالف وسلمنا الكتاب والسنة عليها، وأعطينا المقادة، وطلبنا السلامة، وعرفنا أن قول سلفنا: من أن الإسلام قنطرة لا تعبر إلا بالتسليم.

> الخطة الفاصلة بيننا وبين كل مخالف: أننا نجعل أصل مذهبنا الكتاب والسنة، ونستخرج ما نستخرج منهما، ونبني ما سواهما عليهما.

وأما مخالفونا؛ فجعلوا قاعدة مذاهبهم المعقولات، والآراء، وبنوا الكتاب والسنة، وطلبوا التأويلات المستكرهة، وركبوا كل صعب، وذلول، وسلكوا كل وعر وسهل، وأطلقوا أعنة عقولهم كل الإطلاق؛ فهجمت بهم كل مهجم، وعثرت بهم كل عناء، ثم إذا لم يجدوا وجهًا للتأويل، طلبوا رد السنة بكل حيلة يحتالونها ومكيدة يكيدونها؛ ليستقيم وجهة رأيهم ووجهة معقولهم».

وهذه الفرقة الناجية والطائفة المنصورة، لا ينتسبون لشيء سوى السنة المحضة بخلاف غيرهم من الفرق والجماعات فهم إما ينتسبون إلى بدعهم، أو ينتسبون إلى إمامهم.

كالقدرية، والمرجئة، فإنهم ينتسبون إلى بدعتهم، وكالخوارج، والمعتزلة، والرافضة، فإنهم ينتسبون إلى أفعالهم، وكالجهمية فإنهم ينتسبون إلى إمامهم الجهم بن صفوان.

أما أهل السنة فإنهم لا ينتسبون لغير السنة المحضة.

سبب تسميتهم بأهل السنة والجماعة:

التسمية بأهل السنة تسمية قديمة تسمت بها

هذه الطائفة لما تفرق الناس عن السنة، واتبعوا آراءهم، وعقولهم، وأهواءهم، واستدبروا هدي نبيهم صلى الله عليه وسلم.

فعن ابن سيرين قال: «لم يكونوا يسألون، عن الإسناد فلما وقعت الفتنة قالوا: سموا لنا رجالكم. فينظر إلى أهل السنة، فيُؤْخَذُ حديثهم، وينظر إلى أهل البدع، فلا يُؤْخَذُ حديثهم». رواه مسلم في مقدمة صحيحه، بابٌ في: إن الإسناد من الدين.

وسبب تسميتهم بالجماعة: لأنهم تمسكوا بجماعة المسلمين، حين خرج عليها، وتفرقت عليها الفرق، فلا يرون السيف، ويحفظون بيضة الأمة عن التشرذم، والتفكك.

وأوَّل التسمية بالجماعة، لما تنازل الحسن بن علي- رضي الله عنهما- عن الخلافة لمن لا يطعن في دينه، وعدله خال المؤمنين، كاتب الوحي: معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما فاجتمعت كلمة المسلمين على إمام واحد بعد فُرقة، وحُقنت دماء، وكان عام رحمة، فسمي بعام الجماعة لاجتماع كلمة المسلمين على إمام واحد، وذلك في شهر ربيع الأوَّل من عام واحد وأربعين (٤١هـ).

وقد يطلق عليهم أهل السنة فقط، فيشمل هذين المعنيين السابقين. وقد يطلق عليهم الجماعة فقط، فيشمل ذلك جماعة الأديان، وجماعة الأبدان.

سمي أهل الحق بأهل السنة والجماعة لأنهم حفظوا على الأمة الأديان والأبدان.

معنى السنة:

والسنة: الطريقة. قال في المصباح المنير مادة: س ن ن (ص ٢٤٠): السنة: الطريقة. والسنة: السيرة حميدة كانت أو ذميمة، والجمع: سنن، مثل: غرفة وغرف. اهـ.

ومنه قول النبي – صلى الله عليه وسلم-: «مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ» (رواه مسلم (١٠١٧)، والترمذي (٢٦٧٥)، والنسائي (٢٥٥٤) وابن ماجه (٢٠٣) من حديث جرير بن عبد الله –رضي الله عنه-).

وقوله: «لاَ تُقْتَلُ نَفْسٌ ظُلْمًا إِلاَّ كَانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ الأَوَّلِ كِفْلٌ مِنْ دَمِهَا وَذَلِكَ لأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ سَنَّ الْقَتْلَ». (رواه البخاري (٢٣٣٥)، ومسلم (١٦٧٧) من حديث عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه-).

وخصها الأزهري بالطريقة الحسنة المحمودة دون غيرها، وما تقدم أصح.

وقد اختار الخطابي هذا القول، وأجاب عما مضى بأنها تطلق على غير الطريقة الحميدة مقيدة.

السنة في الاصطلاح:

وتطلق في الاصطلاح على معان، والذي يهمنا منها في هذا المحل أربعة معان:

الأول: إطلاق اسم السنة على المتابعة فيما يتعلق بالاعتقاد وحده، فمن ذلك تسمية بعض كتب العقيدة بالسنة، مثل: أصول السنة للإمام أحمد، وللحميدي، ومثل: السنة لعبد الله بن أحمد، وللخلال، ولابن أبي عاصم.

الثاني: إطلاق اسم السنة في مقابلة البدعة، فيشمل ذلك الاعتقادات، والعمليات، والأقوال فتلك السنة المحضة.

قال ابن رجب الحنبلي في جامع العلوم والحكم، في شرح حديث العرباض بن سارية (٢/ ١٢٠ رقم ٢٨): «والسنة: هي الطريق المسلوك فيشمل ذلك: التمسك بما كان عليه هو، وخلفاؤه الراشدون من الاعتقادات والأعمال والأقوال، وهذه هي السنة

الكاملة.

ولهذا كان السلف قديماً لا يطلقون اسم السنة إلا على ما يشمل ذلك كله، وروي معنى ذلك عن الحسن والأوزاعي والفضيل بن عياض.

- وكثير من العلماء المتأخرين يخص اسم السنة بما يتعلق بالاعتقاد، إلا أنها أصل الدين والمخالف فيها على خطر عظيم».

الثالث: قد تطلق السنة على اصطلاح أوسع من ذلك بكثير، فتطلق على من ليس شيعيًا.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في منهاج السنة (٢٢١/٢): «فلفظ أهل السنة يُرَادُ به من أثبت خلافة الخلفاء الثلاثة، فيدخل في ذلك جميع الطوائف إلا الرافضة.

وقد يُرَادُ به أهل الحديث والسنة المحضة فلا يدخل فيه إلا من يثبت الصفات لله تعالى ويقول: إن القرآن غير مخلوق، وإن الله يرى في الآخرة، ويثبت القدر وغير ذلك من الأصول المعروفة عند أهل الحديث والسنة».

الرابع: قد تطلق السنة على طوائف بالنظر إلى فرق أخرى.

قال شيخ الإسلام في نقض التأسيس (٨٧/٢) «فإنهم (يعني: الأشاعرة) أقرب أهل الكلام إلى السنة والجماعة والحديث، وهم يعدون من أهل السنة والجماعة عند النظر إلى مثل المعتزلة والرافضة وغيرهم، بل هم أهل السنة والجماعة في البلاد التي يكون أهل البدع فيها هم المعتزلة والرافضة ونحوهم».

والمعنى الأول، والثاني هما المعنيان الشرعيان اللذان علق بهما اسم النجاة ففي حديث معاوية بن قرة، عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا فسد أهل الشام فلا خير فيكم، لا تزال طائفة من أمتي منصورين لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة». رواه الترمذي (٢١٩٢)، وابن ماجه (٦).

قال الترمذي: قال محمد بن إسماعيل (يعني: البخاري): قال علي بن المديني: هم أصحاب الحديث.

وقال الإمام النووي في شرح مسلم (٦٦/١٣ - ٦٧): «أما هذه الطائفة، فقال البخاري: هم أهل العلم.

وقال أحمد بن حنبل: إن لم يكونوا أهل الحديث، فلا أدري من هم.

قال القاضي عياض: إنما أراد أحمد: أهل السنة والجماعة، ومن يعتقد مذهب أهل الحديث.

قلت: ويحتمل أن هذه الطائفة مفرقة بين أنواع المؤمنين، منهم شجعان مقاتلون، ومنهم فقهاء، ومنهم محدثون، ومنهم زهاد وآمرون بالمعروف وناهون عن المنكر، ومنهم أهل أنواع أخرى من الخير، ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين، بل قد يكونون متفرقين في أقطار الأرض».

وكثير من الطوائف ينسبون أنفسهم للسنة والجماعة، ويزعمون أنهم الفرقة الناجية، والطائفة المنصورة، وأهل الحق.

والحق: أنه لا مصانعة في ذلك، فمن التزم هذا المنهاج الحق، فهو من أهل السنة، الطائفة المنصورة، ومن خرج عن منهاجهم فليس منهم، وإن زعم ما زعم، وقال ما قال، وإن كبرت دعواه.

ولا يضر أهل السنة من خذلهم من أهل البدع والأهواء، ولا يضرهم إلصاق ألقاب السوء بهم.

قال عبد القادر الجيلاني في الغنية (١٦٦/١): «واعلم أن لأهل البدع علامات يعرفون بها. فعلامة أهل البدعة الوقيعة في أهل الأثر. وعلامة الزنادقة تسميتهم أهل الأثر: بالحشوية، ويريدون إبطال الآثار. وعلامة القدرية تسميتهم أهل الأثر: مجبرة. وعلامة الجهمية تسميتهم أهل السنة: مشبهة. وعلامة الرافضة تسميتهم أهل الأثر: ناصبة. وكل ذلك عصبية وغياظ لأهل السنة، ولا اسم لهم إلا اسم واحد: وهو أصحاب الحديث.

ولا يلتصق بهم ما لقبهم به أهل البدع، كما لم يلتصق بالنبي صلى الله عليه وسلم تسمية كفار مكة له ساحرًا وشاعرًا ومجنونًا ومفتونًا وكاهنًا، ولم يكن اسمه عند الله وعند ملائكته وعند إنسه وجنه وسائر خلقه إلا رسولاً نبيًا بريًا من العاهات كلها».

فصبرًا أهل السنة، فأنتم أرحم الخلق بالخلق، وأنصح الناس للناس، أنتم الطائفة المنصورة، والفرقة الناجية.

والحمد لله أوّلاً وآخرًا ظاهرًا وباطنًا.



فقر المشاعر

فقر المشاعر بين الزوجين

الحلقة الخامسة

إعداد/ د. محمد إبراهيم الحمد

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد:

فقد تحدثنا في المقال السابق عن مساوئ كفر النعمة وجحود الفضل من الزوجة لزوجها، وأنه من حق الزوج على زوجته أن تعترف له بنعمته، وأن تشكر له ما يأتي من طعام ولباس وهدايا، ونحوه، ثم تحدثنا عن الخلل الذي تقع فيه بعض الزوجات من قلة المراعاة لأحوال الزواج ومشاعره... إلخ. وفي هذا العدد نتحدث عن:

مظاهر فقر المشاعر عند بعض الأزواج

ومن أعظم مظاهر فقر المشاعر أو انعدامها عند بعض الأزواج: ضرب الزوجة بلا مسوغ؛ فمن الأزواج من قسا قلبه، وغلظ طبعه، وتعدى طوره، وساء للدين فهمه، حيث يضرب زوجته ضرب غرائب الإبل، ويسومها سوء العذاب عند أتفه الأسباب، وربما تستر بعض أولئك العتاة العصاة القساة بالإذن القرآني بالضرب، ففهموه على غير وجهه.

وبعضهم يرى أن ذلك من الرجولة، فالرجولةُ في نظرهم تعني الظلم، والقهر، والتسلط، والاستعلاء، والاستبداد، والقوامةُ عندهم طوق في عنق المرأة لإذلالها وتسخيرها.

والعجيب أن ترى بعض هؤلاء يتذلل ويتمسكن لأهل الزوجة قبل الزواج، فإذا ما ظفر بإربه تنكر، وقلب ظهر المجنّ، فانقلبت ذلته طغيانًا، وتبدلت مسكنته تسلطًا وجبروتًا.

فتراه بعد ذلك يرفع يده أو عصاه على زوجته عند أدنى سبب، وربما بلا سبب، وربما ضربها هي وأولادها، وربما جمع إلى الضرب الشتم، والسب، والقذف.

إن المرأة ليست هملاً مضاعًا، ولا لقىً مزدرى، وليست بهيمة تباع وتشترى، فيصنع بها ربها كيف يشاء.

إن للمرأة في هذه الحال الحقَّ الكامل في أن تشكو حالها إلى أوليائها، أو أن ترفع إلى الحاكم أمرها؛ لأنها إنسان مكرم داخل في قوله تعالى: «وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا» (الإسراء: ٧٠).

وليس حسن المعاشرة أمرًا اختياريًا متروكًا للزوج إن شاء فعله وإن شاء تركه، بل هو تكليف واجب.

وليس الرفق بالمرأة من باب الرفق بالحيوان الأعجم، ولكنه حق لها، وواجب على زوجها، فهي

مُكرمة مثله بالخلق السوي، والصورة الحسنة، والتقويم الحسن، وهي مكرمة- كذلك- بالبيان والعقل، وحمل الأمانة؛ فهذه المزايا مشاعة بين الرجل والمرأة؛ فمن أراد أن يعامل الزوجة معاملة الدابة والسلعة فقد كفر نعمة الله، وعرض نفسه للعقوبة. (عودة الحجاب ٢/ ٤٦٥، ٤٦٦).

فأين أولئك القساة العصاة من قوله تعالى: «إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ» (الفجر:١٤).

وأين هم من قول النبي صلى الله عليه وسلم: «إني أحرِّج عليكم حق الضعيفين؛ اليتيم والمرأة». (السلسلة الصحيحة: ١٠١٥).

وقوله صلى الله عليه وسلم: «النساء شقائق الرجال». (صححه أحمد شاكر في تحقيق الترمذي ١/ ١٩٠، ١٩٢).

وقوله صلى الله عليه وسلم: «لا يجلد أحدكم امرأة جلد العبد ثم يضاجعها». (البخاري: ٥٢٠٤، ومسلم: ٢٨٥٥).

فهذا الحديث من أبلغ ما يمكن أن يقال في تشنيع ضرب النساء؛ إذ كيف يليق بالإنسان أن يجعل امرأته- وهي كنفسه- مهينة كمهانة عبده؛ بحيث يضربها بسوطه أو بيده، مع أنه يعلم أنه لا بد له من الاجتماع والاتصال بها.

قال الشيخ محمد رشيد رضا-رحمه الله- في هذا الحديث: «وأذكر أنني هُديت إلى معناه العالي قبل أن أطلع على لفظه الشريف؛ أقول: يالله العجب! كيف يستطيع الإنسان أن يعيش عيشة الأزواج مع امرأة تُضرَب؟ تارة يسطو عليها بالضرب، فتكون منه كالشاة مع الذئب، وتارة يذل لها كالعبد طالبًا منتهى القرب». (نداء للجنس اللطيف ص٤٦).

ولا يفهم مما مضى الاعتراض على مشروعية ضرب الزوجة بضوابطه، ولا يعني أن الضرب مذموم بكل حال. لا، ليس الأمر كذلك؛ فلا يطعن في مشروعية الضرب إلا من جهل هداية الدين، وحكمة تشريعاته من أعداء الإسلام ومطاياهم.

هؤلاء الذين يتظاهرون بتقديس النساء والدفاع عن حقوقهن؛ فهم يطعنون في هذا الحكم، ويتأففون منه، ويعدونه إهانة للمرأة.

وما ندري من الذي أهان المرأة؟ أهو ربها الرحيم الكريم الذي يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير؟ أم هؤلاء الذين يريدونها سلعة تمتهن وتهان، فإذا انتهت مدة صلاحيتها ضربوا بها وجه الثرى؟

إن هؤلاء القوم يستنكفون من مشروعية تأديب المرأة الناشز، ولا يستنكفون أن تنشز المرأة، وتترفع على زوجها، فتجعله- وهو رأس البيت- مرؤوسًا، وتصر على نشوزها، وتمشي في غلوائها، فلا تلين لوعظه، ولا تستجيب لنصحه، ولا تبالي بإعراضه وهجره.

تُرى كيف يعالجون هذا النشوز؟ وبم يشيرون على الأزواج أن يعاملوا به الزوجات إذا تمردن؟

لقد وُجِدَ من النساء- وفي الغرب خاصة- من تضرب زوجها مرة إثر مرة، والزوج يكتم أمره، فلما لم يعد يطيق ذلك طلقها، حينئذ ندمت المرأة، وقالت: أنا السبب؛ فلقد كنت أضربه، وكان يستحيي من الإخبار بذلك، ولما نفد صبره طلقني!

وقالت تلك المرأة القوامة: أنا نادمة على ما فعلت، وأوجه النصيحة بألا تضرب الزوجات أزواجهن!

لقد أذن الإسلام بضرب الزوجة كما في قوله تعالى: «وَالَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ» (النساء:٣٤).

وكما في قوله عليه الصلاة والسلام في حجة الوداع: «ولكم عليهن ألا يوطئن فرشكم أحدًا تكرهونه، فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضربًا غير مُبرح». (رواه مسلم: ١٢١٨).

ولكن الإسلام حين أذن بضرب الزوجة لم يأذن بالضرب المبرح الذي يقصد به التشفي، والانتقام، والتعذيب، وإهانة المرأة وإرغامها على معيشة لا ترضى بها.

وإنما هو ضرب للحاجة وللتأديب، تصحبه عاطفة المربي والمؤدب، فليس للزوج أن يضرب زوجته بهواه، وليس له إن ضربها أن يقسو عليها.

وللحديث بقية حول ضوابط الضرب

والله الموفق.

واحة التوحيد

من نور كتاب الله

القرآن كتاب علم وعمل

قال تعالى: "كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ" (ص: ٢٩).

من هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم

صيام ست من شوال

عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من صام رمضان ثم أتبعه ستًّا من شوال كان كصيام الدهر" (صحيح مسلم).

من فضائل الصحابة

عن أبي جعفر محمد بن علي قال: "من لم يعرف فضل أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فقد جهل السنة". (فضائل الصحابة للدراقطني)

من دلائل النبوة

حنين الجذع وسماع صوته

عن جابر رضي الله عنه قال: «كان المسجد مسقوفًا على جذوع من نخل، فكان النَّبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم إذا خطب يقوم إلى جذع منها، فلمَّا صُنع له المنبر فكان عليه، فسمعنا لذلك الجذع صوتًا كصوت العشار، حتَّى جاء النَّبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم فوضع يده عليها، فسكنت» (صحيح البخاري).

من دعائه صلى الله عليه وسلم

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، وإن سابه أحد أو قاتله فليقل: إني امرؤ صائم" (صحيح الجامع ٨٣٢٤).

خلق حسن فالزمه

قال أبو عثمان: قال لي أبو حفص: "إذا جلست للنَّاس فكن واعظًا لنفسك وقلبك، ولا يغرَّنَّك اجتماعهم عليك فإنَّهم يراقبون ظاهرك، والله رقيب على باطنك". (نضرة النعيم).

إعداد/ علاء خضر

أحاديث باطلة لها آثار سيئة

(إذا رأيتم العبد ألمَّ الله به الفقر والمرض فإن الله يريد أن يصافيه) رواه الديلمي (٥٧/١/١) وقال الألباني عنه: موضوع. (السلسلة الضعيفة).

حكم ومواعظ

عن عروة قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه في خطبته: "تعلمون أن الطمع فقر، وأن اليأس غنى، وأنه من أيس مما عند الناس استغنى عنهم" (العقد الفريد).

من أقوال السلف

عن حسان بن عطية قال: «كان جبريل صلى الله عليه وسلم ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم بالسُّنَّة كما ينزل القرآن عليه، يعلمه إياها كما يعلمه القرآن»
(السنة للالكائي).

من معاني الأحاديث

(جُبِلَ) في حديث الدعاء «أسألك من خيرها وخير ما جُبلت عليه» أي: خُلِقَت وطُبِعَت عليه. (النهاية لابن الأثير).

من حكمة الشعر

قال أبو العتاهية في ذم الدنيا:

ألا إنما التَّقوى هي العزّ والكرم
وحبّك للدنيا هو الذّلّ والندم
وليس على عبد تقيّ نقيصة
إذا صحّح التقوى وإن حاك أو حجم
(عيون الأخبار).

خلق سيئ فاحذره

قال الثوريّ- رحمه الله-: «لا تعد أخاك وتخلفه فتعود المحبّة بغضة" (أدب العشرة).

إعداد: سيد عباس الجليمي

من بدع شهر شوال:

بدعة عيد الأبرار

وهو اليوم الثامن من شوال. فبعد أن يتم الناس صوم شهر رمضان، ويفطروا اليوم الأول من شهر شوال- وهو يوم عيد الفطر- يبدؤون في صيام الأيام الستة الأوَّل من شهر شوال، وفي اليوم الثامن يجعلونه عيداً يسمونه عيد الأبرار.

فاعلم أخي القارئ: أن اتخاذ موسم للطاعة والعبادة غير المواسم الشرعية التي جاءت بها النصوص من الكتاب والسنة كل ذلك من البدع المحدثة التي لم يفعلها سلف هذه الأمة، ومن ذلك الاحتفال بيوم الثامن من شهر شوال الذي يسميه بعض الناس عيد الأبرار، فاحرص على الاتباع، واحذر من الابتداع، فقد قال صلى الله عليه وسلم: «مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ». (رواه مسلم).

التشاؤم من الزواج في شهر شوال

لقد كانت العرب تطيَّر من عقد المناكح في شهر شوال، وتقول: إن المنكوحة تمتنع من ناكحها كما تمتنع طروقة الجمل إذا لقحت وشالت بذنبها، فأبطل النبي صلى الله عليه وسلم طيرتهم، وقالت عائشة رضي الله عنها: (تزوجني النبي صلى الله عليه وسلم في شوال، وبنى بي في شوال، فأي نسائه كانت أحظى عنده مني؟!). فالسبب الذي جعل العرب في الجاهلية يتشاءمون من الزواج في شهر شوال: هو اعتقادهم أن المرأة تمتنع من زوجها كامتناع الناقة التي شولت بذنبها بعد اللقاح من الجمل.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: (وفي دخوله صلى الله عليه وسلم بعائشة رضي الله عنها في شوال ردّ لما يتوهمه بعض الناس من كراهية الدخول بين العيدين خشية المفارقة بين الزوجين، وهذا ليس بشيء). اهـ

فالتشاؤم من الزواج في شهر شوال أمر باطل؛ لأن التشاؤم عموماً من الطيرة التي نهى النبي صلى الله عليه وسلم عنها بقوله: (لا عدوى ولا طيرة).

وفق الله الجميع للعمل بالسنة النبوية، والبعد عن الابتداع في الدين.

احذر هذا الكتاب



نهج البلاغة

وهو من الكُتب التي ساهمت في تشويه تاريخ الصحابة بالباطل، ولأهل السنة رأي في نسبة الكتاب إلى علي رضي الله عنه، وفي المقابل يستميت الرافضة في إثبات نسبة الكتاب إليه رضي الله عنه.

وهذا الكتاب مطعون في سنده ومتنه، فقد جُمِعَ بعد أمير المؤمنين بثلاثة قرون ونصف قرن بلا سند، وقد نسبت الشيعة تأليف نهج البلاغة إلى الشريف الرضي، وهو غير مقبول عند المحدثين لو أسند خصوصًا فيما يوافق بدعته، فكيف إذا لم يسند كما فعل في النهج؟ وأما المتهم -عند المحدثين- فهو أخوه عليّ، فقد تحدث العلماء فيه:

- قال ابن خلكان في ترجمة الشريف المرتضى: وقد اختلف الناس في كتاب نهج البلاغة المجموع من كلام الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه هل جمعه؟ أم جمع أخيه الرضي؟ وقد قيل: إنه ليس من كلام علي، وإنما الذي جمعه ونسبه إليه هو الذي وضعه، والله أعلم.

- وقال الذهبي: من طالع نهج البلاغة جزم بأنه مكذوب على أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، ففيه السب الصراح، والحط على السيدين أبي بكر وعمر، رضي الله عنهما، وفيه من التناقض والأشياء الركيكة والعبارات التي من له معرفة بنفس القرشيين الصحابة وبنفس غيرهم ممن بعدهم من المتأخرين جزم بأن أكثره باطل.

- وقال ابن تيمية: وأهل العلم يعلمون أن أكثر خطب هذا الكتاب مفتراة على عليّ، ولهذا لا يوجد غالبها في كتاب متقدم ولا لها إسناد معروف.

- وأما ابن حجر، فيتهم الشريف المرتضى بوضعه، ويقول: «ومن طالعه جزم بأنه مكذوب على أمير المؤمنين علي.. وأكثره باطل».

- واستنادًا إلى هذه الأخبار وغيرها تناول عدد من الباحثين هذا الموضوع، فقالوا بعدم صحة نسبة هذا الكتاب إلى الإمام علي رضي الله عنه.

ويمكن تلخيص أهم ما لاحظه القدامى والمحدثون على «نهج البلاغة» للتشكيك بصحة نسبته للإمام علي بما يلي:

خلوه من الأسانيد الموثقة التي تعزز نسبة الكلام إلى صاحبه؛ متنًا ورواية وسندًا.

كثرة الخطب وطولها، لأن هذه الكثرة وهذا التطويل مما يتعذر حفظه وضبطه قبل عصر التدوين، مع أن خطب الرسول صلى الله عليه وسلم لم تصل إلينا سالمة وكاملة مع ما أتيح لها من العناية الشديدة والاهتمام.

رصد العديد من الأقوال والخطب في مصادر وثيقة منسوبة لغير علي رضي الله عنه، وصاحب النهج يثبتها له.

اشتمال هذا الكتاب على أقوال تتناول الخلفاء الراشدين قبله بما لا يليق به ولا بهم، وتنافي ما عرف عنه من توقيره لهم، ومن أمثلة ذلك ما جاء بخطبته المعروفة بـ«الشقشقية» التي يظهر فيها حرصه الشديد على الخلافة، رغم ما عُرف عنه من التقشف والزهد.

شيوع السجع فيه، إذ رأى عدد من الأدباء أن هذه الكثرة لا تتفق مع البعد عن التكلف الذي عرف به عصر الإمام علي رضي الله عنه، مع أن السجع العفوي الجميل لم يكن بعيدًا عن روحه ومبناه.

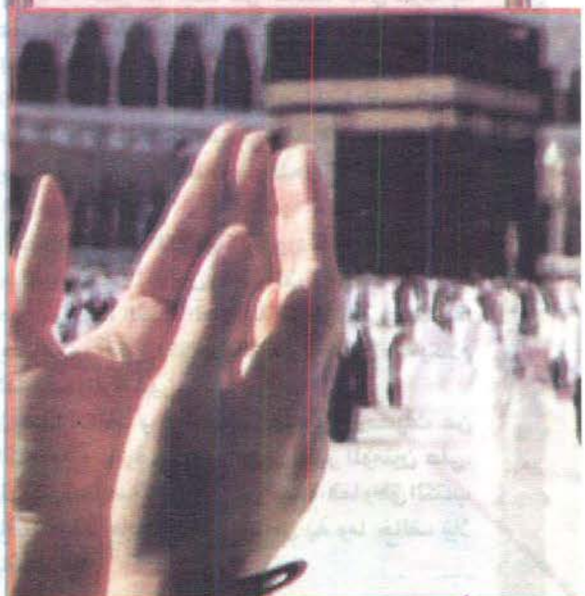
الكلام المنمّق الذي تظهر فيه الصناعة الأدبية التي هي من وشي العصر العباسي وزخرفه، ما نجده في وصف الطاووس والخفاش، والنحل والنمل، والزرع والسحاب وأمثالها.

الصِيغ الفلسفية الكلامية التي وردت في ثناياه، والتي لم تعرف عند المسلمين إلا في القرن الثالث الهجري، حين ترجمت الكتب اليونانية والفارسية والهندية، وهي أشبه ما تكون بكلام المناطقة والمتكلمين منه بكلام الصحابة والراشدين.

إن هذا الكتاب يجب الحذر منه في الحديث عن الصحابة وما وقع بينهم وبين أمير المؤمنين علي، وتعرض نصوصه على الكتاب والسنة، فما وافق الكتاب والسنة، فلا مانع من الاستئناس به وما خالف فلا يلتفت إليه.

الدعاء.. أحكام وآداب

إعداد/ متولي البراجيلي



الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

هذه بعض أحكام وآداب الدعاء، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

١ - أهمية الدعاء:

عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما، قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «الدعاء هو العبادة، ثم قرأ: «وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين». (صحيح سنن الترمذي وغيره).

وقوله صلى الله عليه وسلم الدعاء هو العبادة أسلوب حصر وقصر لبيان أهمية الدعاء .

فالدعاء هو إقرار لله تعالى بالربوبية والألوهية، فهو وحده الذي يلجأ إليه في جلب المنفعة ودفع المضرة.

قال تعالى: «وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير» (الأنعام: ١٧).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ليس شيء أكرم على الله من الدعاء» (صحيح سنن الترمذي).

وكذلك في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن أبخل الناس من بخل بالسلام، وأعجز الناس من عجز عن الدعاء». (صحيح ابن حبان وهو في صحيح الجامع).

٢ - هل الدعاء يرد القدر؟

قال الله تعالى: (إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ) (القمر: ٤٩)، وفي الحديث عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كل شيء بقدر حتى العجز والكيس» (صحيح مسلم وغيره).

فهل الدعاء يرد القدر؟ ورد في حديث ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يزيد في العمر إلا البر، ولا يرد القدر إلا الدعاء، وإن الرجل ليحرم الرزق بخطيئة يعملها». (صحيح سنن ابن ماجه).

وكذلك في حديث عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا يغني حذر من قدر، والدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل، وإن البلاء لينزل فيلقاه الدعاء فيعتلجان إلى يوم القيامة» (مستدرك الحاكم وحسنه الألباني في صحيح الجامع).

فهل المعنى أن الدعاء يرد القدر، مع أن القدر مبرم لا مرد له؟

اعلم أن الدعاء من القدر، وأن الله تعالى يلهمك الدعاء - قدرًا- ليرفع عنك ما أراد من بلاء، أو يعطيك ما أراد من نعم. فالدعاء لا يخرج عن قدَر الله تعالى، فالله تعالى قدَّر الأشياء بأسبابها، كما قدَّر الأكل من أجل الشبع، والنكاح من أجل الذرية، كذلك قدَّر الدعاء ليعطي ويمنع سبحانه تعالى. فلا نتوقف عن الدعاء بدعوى أن الأقدار مكتوبة، وإلا فلماذا تسعى إلى العلاج وتأخذ الدواء وأنت تعلم أن الأعمار مقدرة؟

٣- العلاقة بين الصوم والدعاء:

وردت آية الدعاء: «وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون» (البقرة: ١٨٦) بين آيات الصيام قبلها وبعدها، مما يدل على العلاقة ما بين الصوم وبين الدعاء، وذلك يتضح في حديث أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ثلاث دعوات لا ترد: دعوة الوالد، ودعوة الصائم، ودعوة المسافر» (سنن البيهقي وهو في السلسلة الصحيحة).

٤- أقسام الدعاء:

ينقسم الدعاء إلى قسمين:

١- دعاء العبادة، وهو يشمل كل أنواع العبادات كالصلاة والصيام والحج والذبح، وغير ذلك، فمن عبَد الله تعالى راغبًا في جنته راهبًا من ناره فهو داعٍ إلى الله عز وجل.

٢- دعاء المسألة: وهو ما يدعوه العبد لربه تعالى من جلب نفع أو دفع ضر. ودعاء العبادة ودعاء المسألة متلازمان، قال تعالى: ﴿ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (الأنبياء: ٦٧)، وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ (غافر: ٦٠). يقول ابن القيم: «وكل من يملك الضر والنفع فإنه هو المعبود حقًا، والمعبود لا بد أن يكون مالكًا للنفع والضر... فهو يدعو للنفع والضر دعاء المسألة، ويدعو خوفًا ورجاء دعاء العبادة، فعلم أن النوعين متلازمان، فكل دعاء عبادة مستلزم لدعاء المسألة، وكل دعاء مسألة متضمن لدعاء العبادة». (انظر بدائع الفوائد ٢/٣-٣).

٥- الاعتداء في الدعاء:

قال الله تعالى: ﴿ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ (الأعراف: ٥٥)، يقول القرطبي: «يريد في الدعاء، وإن كان اللفظ عامًا». (تفسير القرطبي ٢٢٦/٧).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وقوله تعالى: (إنه لا يحب المعتدين) عقيب قوله (ادعوا ربكم تضرعًا وخفية) دليل على أن من لم يدعه تضرعًا وخفية فهو من المعتدين الذين لا يحبهم» (مجموع الفتاوى ٢٤/١٥).

وقال أيضًا: «فالاعتداء في الدعاء تارة بأن يسأل ما لا يجوز له سؤاله من المعونة على المحرمات، وتارة يسأل ما لا يفعله الله مثل أن يسأل تخليده إلى يوم القيامة، أو يسأله أن يرفع عنه لوازم البشرية من الحاجة إلى الطعام والشراب، ويسأله بأن يطلعه على غيبه أو أن يجعله من المعصومين، أو يهب له ولدًا من غير زوجة...». (مجموع الفتاوى ٢٢/١٥).

ومن الاعتداء في الدعاء أن يدعو الإنسان على نفسه وأولاده كما في حديث جابر رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تدعوا على أنفسكم، ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على أموالكم؛ لا توافقوا من الله ساعة يسأل فيها عطاء فيستجيب لكم» (صحيح مسلم).

وقد سمع سعد بن أبي وقاص ابنًا له يدعو ويقول: «اللهم إني أسألك الجنة ونعيمها وبهجتها وكذا وكذا، وأعوذ بك من النار وسلاسلها وأغلالها وكذا وكذا، فقال: يا بني إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «سيكون قوم يعتدون في الدعاء؛ فإياك أن تكون منهم، إنك إن أعطيت الجنة، أعطيتها وما فيها من الخير، وإن أعذت من النار أعذت وما فيها من الشر». (صحيح سنن أبي داود وغيره).

وعن عبدالله بن مغفل رضي الله عنه أنه سمع ابنه يقول: اللهم إني أسألك القصر الأبيض عن يمين الجنة إذا دخلتها، فقال: أي بني! سل الله الجنة، وعذ به من النار، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إنه سيكون قوم يعتدون في الدعاء» (صحيح سنن ابن ماجه وغيره).

وكذلك من صور الاعتداء في الدعاء كما يقول

الحافظ ابن حجر: «زيادة رفع الصوت فوق الحاجة، أو طلب ما يستحيل حصوله شرعًا، أو يطلب معصية، أو يدعو بما لم يُؤْثَر خصوصًا ما وردت كراهيته كالسجع المتكلف وترك المأمور» (انظر فتح الباري ٢٩٨/٨).

وقد أورد البخاري أثرًا عن ابن عباس وفيه: «وانظر السجع من الدعاء فاجتنبه؛ فإني عهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه لا يفعلون إلا ذلك الاجتناب» (صحيح البخاري باب ما يكره من السجع).

ومن ذلك تشقيق العبارات في الدعاء، مثل من يقول: اللهم ارحمنا إذا ثقل منا اللسان وارتخت منا اليدان وبردت منا القدمان ودنا منا الأهل والأصحاب.... يقول الكمال ابن الهمام (الفقيه الحنفي المتوفى ٨٦١هـ): «ما تعارفه الناس في هذه الأزمان من التمطيط والمبالغة في الصياح والاشتغال بتحريات النغم إظهارًا للصناعة النغمية لا إقامة للعبودية، فإنه لا يقتضي الإجابة، بل هو من مقتضيات الرد، وهذا معلوم إن كان قصده إعجاب الناس به، فكأنه قال: اعجبوا من حسن صوتي وتحريري، ولا أرى أن تحرير النغم في الدعاء كما يفعله القراء في هذا الزمان يصدر ممن يفهم معنى الدعاء والسؤال، وما ذاك إلا نوع لعب، فإنه لو قدر في الشاهد سائل حاجة من ملك أدّى سؤاله وطلبه بتحرير النغم فيه من الخفض والرفع والتطريب والترجيع كالتغني، نسب ألبتة إلى قصد السخرية واللعب، إذ مقام طلب الحاجة التضرع لا التغني، فاستبان أن ذلك من مقتضيات الخيبة والحرمان». (فيض القدير ٢٢٨/١).

وإذا علمنا هذا فلنلزم خير الدعاء، وهو ما كان في كتاب الله تعالى، وما صح عن رسوله صلى الله عليه وسلم. يقول الغزالي: «والأولى: أن لا يجاوز الدعوات المأثورة، فإنه قد يعتدي في دعائه فيسأل ما لا تقتضيه مصلحته، فما كل أحد يحسن الدعاء» (إحياء علوم الدين ٣٠٦/١).

٦- استجابة الدعاء:

قال الله تعالى ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ (غافر: ٦٠)، فوعد الله تعالى باستجابة الدعاء لعبده الداعي، ووعد الله تعالى لا يتخلف، لكننا قد نقصر الاستجابة في تحقيق مطلوبنا في الحال، فإن لم يتحقق فإننا نقول: إن الله تعالى لم يستجب لدعائنا، والنبي صلى الله عليه وسلم بيّن أن استجابة الله للدعاء على ثلاثة أقسام؛ كما في الحديث عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث: إما أن تعجل له دعوته، وإما أن يدخرها له في الآخرة، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها؛ قالوا: إذن نكثر. قال الله أكثر» (مسند أحمد وقال الأرناءوط: إسناده جيد).

لكنَّ العبد يتعجل استجابة الدعاء، والعجلة من موانع استجابة الدعاء كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «يستجاب لأحدكم ما لم يعجل، يقول: دعوتُ فلم يُستجَب لي» (متفق عليه)، فإن ذلك من باب القنوط وضعف اليقين والتسخط.

٧- موانع إجابة الدعاء:

من موانع إجابة الدعاء أكل الحرام والتخبط فيه، كما بحديث أبي هريرة رضي الله عنه، وفيه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «.. ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يا رب يا ربِ ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغُذي بالحرام، فأنى يُستجاب لذلك» (صحيح مسلم).

فحتى يستجاب للدعاء فلا بد من توافر شروط في الداعي، والدعاء.

فمن شروط الداعي: أن يكون عالمًا بأنَّ لا قادر على حاجته إلا الله تعالى، وأن الأمور كلها بيده سبحانه، وأن يدعو بنية صادقة وحضور قلب، فالله تعالى لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه، وأن يكون مجتنبًا الحرام وأكله، وأن لا يمل من الدعاء ويتعجل الإجابة.

ومن شروط الدعاء: أن يكون في الأمور الجائزة شرعًا، فلا يدعو بإثم أو قطيعة رحم، وأن يتخير أوقات الاستجابة كوقت السحر، ووقت الفطر، ومابين الأذان والإقامة، وفي سجوده، ووقت الاضطرار، وفي السفر، وفي المرض، وعند نزول المطر، وساعة الإجابة يوم الجمعة، وما بين الظهر والعصر يوم الأربعاء، وغير ذلك، وكل هذا جاءت به الآيات والأحاديث ولم نذكرها لضيق المساحة، نسأل الله تعالى إجابة دعائنا وقبول صيامنا،

والحمد لله رب العالمين.



أُصُولُ الآدَابِ وَجَوَامِعُ مَكَارِمِ الأَخْلَاقِ

جِيلُ الأَمَانَةِ هُوَ جِيلُ النَّصرِ

الحلقة (٣)

إعداد/ د. عماد محمد علي عيسى

المفتش بوزارة الأوقاف

الحمد لله الذي خلق كل شيء وقدَّره فأحسن التقدير، ودبَّر أمر الخليقة فأكمل التدبير، وجعل عباده فريقين فريقًا في الجنة وفريقًا في السعير، وأكرمنا ببعثة أبي القاسم البشير النذير، أرسله رحمة للعالمين من نار السعير، فأشرقت الأرض بنور دعوته وأضاءت الدنيا أشدَّ من السراج المنير، اللهم صل الله وسلم على نبينا محمد عبدك ورسولك خير نبيٍّ وأصدق نذير، وعلى آله وأصحابه أولي الأيدي والتبصير، وعلى أتباعه وأحبابه ومَنْ سار على دربه من ذوي العزم والتشمير وبعدُ فمن علاج ضعف الأمانة ما يأتي:

سابعًا: صناعة الجيل المَنشود وبناء المُرتقب المفقود:

فَحَديثُنَا في علاج ضَعْف الأَمَانَة هَذه المَرَّة عَنْ حديث مهم ألا وهو إخراج طليعَة مُرْتَقَّبة، وبناء جيل مُنْتَظَر يُؤَدِّي الأَمَانَةَ على وجهها، ويقوم بحقها هو الحديثُ الوَاجبُ، وَاللّه يَعْلَمُ أني إذَا حَضَرَني الحَديثُ عَنْ هَذَا الجيل أَحْضَرْتُ الدَّوَاةَ وَأَجْرَيْتُ القَلَمَ وَقُلْتُ: هَذَا أَوَانُ الشَّدِّ فَاشْتَدِّي، ثُمَّ أكتبُ عَقبَ ذَلكَ بوَجيب قَلْبي وعَاطفَة مُتدفقَة لا أَمْلكُ زمَامَهَا، ومَحَبَّة غَلاَّبَة لا أُمْسكُ خطامَها، بلْ تَنْسَابُ الكلمَاتُ انْسيَابًا، وتَجْري جَرْيًا عُبابًا، بكَلامٍ أَرْجُو أَنْ يَكُونَ فيه تَفْريحٌ للقَلْب وتَفْريجٌ للهَمِّ ونُزْهَةٌ للعَقْل وطَرَبٌ للنَّفْس فإنَّ هَذَا مما يَشْحَذ الذِّهْن ويَصْقُلُ مرْآةَ الفكْر ويُفَجِّرُ المَعَاني حَتَّى تَتَزَاحَمَ عَلَيكَ ويُجَدِّد المَبَانيَ فتَتَدَاخَل إليْك.

مَقَالٌ كحدِّ السَّيْف بَيْنَ المَحافل

أقمْتُ به ما بيْنَ حقٍّ وباطل

ولَوْلاَ فَضْلُ اللّه ورَحْمَتُهُ وعَوْنُه وتَسْديدُه وَنعْمَتُهُ؛ لاخْتَلَطَ الخَاثرُ بالزُّبَاد، والحَابلُ بالنَّابل، فَمَا اسْتَطَعْتُ لها تَبْويبًا ولا تَرْتيبًا، وَلاَ تَسْويدًا وَلاَ تَهْذيبًا، وَمَا هَذَا إلا لأَنَّ ذاكَ الجيل حُلْمٌ عَظيمٌ نَرْجُو تحقيقَهُ، وأملٌ كبيرٌ نَسْعَى في تَحْصيله، فَالقُلوبُ الصَّادقَةُ تَخْفقُ إليْه، والأَلْسُنُ الصَّادعَةُ تُحَلِّقُ بكَلاَمهَا فَوْقَهُ وعَلَيْه فاللّه المُوَفِّقُ لمَا لَهُ صَمَدتُّ والمُيَسِّرُ لمَا إليْه قَصَدتُّ.

وأبشِّرُك بأنَّ هذا الجيل سَيكُونُ في هَذه الأُمَّة يَوْمًا مَا، لا يَعْلَم مَوْعدَ ذَلكَ إلاَّ اللّه تَعَالَى «وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَرِيبًا» (الإسراء: ٥١)، فلاَ تَقُلْ هَذَا خُلُقٌ قَدْ ذَهَبَتْ أرْبَابُه؛ وفُقدَتْ أسبَابُه؛ فإنَّ من سَارَ على الدَّرْب وَصَل، ومهما فاتَكَ من الخَيْر

فلا يفوتَنَّك العَمَلُ به ومهْمَا سُبِقْتَ إلى شَيْءٍ فلا تُسْبَقَنَّ إلى تَقْوَى الله تَعَالَى.

لا مَفَرَّ للأُمَّة ولا وَزَرَ مِنْ إعْداد هَذا الجيل:

اعْلَمْ - وفقنا الله وإيَّاكَ لطاعته - أنَّه لا مَلاذَ ولا وَزَرَ للأُمَّة من رجال يُعِدُّون إعْـدادًا بعِناية لتَقُومَ الأُمَّةُ من رَقْدَتها، وتَنْهَضَ من كَبْوَتها، وتُفيقَ مِنْ غَفْلَتها وغفْوَتها، عسى أن تلبس أمَّتنا حُلَّةَ اليُسْر بعد خَلْع حَالَة العُسْر، فلقدْ طال شوقُنا إلى هذا الجِيل للخُرُوج من هذا المَأْزق وذاك المَزْلَق.

بعْدَ المُلتَقَى وشطُّ المَزار

وتَمادَى لوَصْلك الانْتظارُ

وَهـذا هُوَ الجِيلُ الذي يَلْزَمُ المُسلمينَ إعْـدَادُهُ لاسِيَّما في هـذه الأيَّـام، وَالأمَّـةُ في مَرْحلتها الصَّعْبَة وأيَّامها العَصيبَة، فجُفُونُها مُرْسلاتٌ ودُمُوعُها من المُلمَّات ذَارياتٌ، وقد تَكالبَتْ عَليْها الأعْدَاءُ واجْتَمعوا على إفْنَائها وتَذْويب البَقيَّة البَاقيَة من الأخْلاق فيها وتَنَادَوْا من مَكان قَريب وبَعيد بصَوْت جَهير يَسْمَعُه الحَاضرُ والبَاد: أنْ هَلُمُّوا لبُغْيَتكُم بالتَّخَلُّص منَ الأمَّة المُسْلمَة وهم يَغُطُّونَ في سُبَات عَميق ونَوْم ثَقيل، وهذا أمْرٌ مُشَاهَدٌ لا يحتاج إلى شَاهد؛ لكن يَأْبَى الله ذلكَ والمؤْمنُون الغَيُورُون على دينهم وأمَّتهم « يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ» (الصف:٨).

إنَّه الجيلُ الذي يُعَدُّ الأمَانَةَ سَبيلَ الهدايَة لمَنْ أرَادَ أنْ يَسْلُكَهَا، وكُنُوزَ السعادَة لمَنْ كَانَ له عَزْمٌ أن يَمْلكَها، كَما أنَّه الجِيلُ الذي يَتَّخذُ من الأمَانَة للنَّجَاة وسيلَةً، ويَعُدُّها برَفْع المحْنَة عن الأمَّة كَفيلَةً، إنَّـهُ الجيلُ الـذي لا يَيْأَس من تَحْقيق الأمَانَة مَهْمَا عَفَتْ في زَمَاننا آثَارُهَا، وكَيْفَما خَبَتْ أنْوارُها حتَّى يَرْجعَ بالمُسْلمينَ إلَى صفَة الأمَانَة بَعْدَ مَا جُهلَ مَكَانُها، ووَهَتْ دَعَائمُها وقُوِّضَتْ أرْكَانُهَا كما أنَّـهُ الجيلُ الـذي بَلَغَ منَ الأخْـلاق الأغْوارَ والأنْجادَ حتَّى وَصَلَ إلَى الغَايَة مِنْها أو كَادَ فَلَمْ يَفُتَّ في عَضُده أهْلُ دَهْره الحَرُون ولَمْ يُفْتَنْ بزَمَانه المَفْتُونُ.

إنَّ اللَّيَالي والأيَّامَ لَوْ سُئلَتْ

عَنْ عَيْب أنْفُسها لَمْ تَكْتُم الخَبَرا

خُطُورَةُ المخادعينَ وَالمُتَصَنِّعينَ عَلَى هَذَا الجيل:

إنَّ جيلَ الأمَانَة هُوَ جيلُ الإيمان والعَمَل والجدِّ والصِّدْق لا جَيلُ التَّصَنُّع والمظَاهر والدعوى والتَّكَاذُب ممَّنْ يَتَزيَّا ببعْض المَنَاقب وحَقيقَتُهُ في زيِّ مُخَـادع كَـاذب، ومَـن أصْحَابُ النَّظْرَة السَّطحيَّة الَّتي تَتَعَلَّق ببعْض أعْمَال الخَيْر الظَّاهرَة غَيْرَ أنَّ منْ وَرائها فَرَاغًا في العَقْل، وفقْرًا في في العلم، وقفْرًا في العَمَل، وإمْلاقًا من الخُلُق، وأنفسًا بالخير شحيحة، وأفعالاً من فعال ذوي الفضيحة، وجَهْلاً بيِّنًا وضعفًا ظاهرًا، « والمُتَشَبِّعُ بمَا لَمْ يُعْطَ كَلابس ثَوْبَيْ زُور » كَمَا قَالَ صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّم وبالجُمْلَة فَهُوَ جيلٌ أرَادَ أنْ يُعْربَ فَأَعْجَمَ، وَرَامَ أنْ يُسْرجَ ليَرْكَبَ فَمَا أسْرَجَ وَمَا ألْجَمَ، فَهُوَ عَنْ الوُصُول مَحْجُوبٌ، وَمَنْ التَّوْفيق مَسْلُوبٌ، ولله الأمْرُ منْ قَبْلُ ومنْ بَعْدُ.

وهَيْهات مع فَقْد الأخْلاق والأدَب أنْ يَبْلُغَ المَرْءُ الوَطَرَ ممَّا يُريدُ أوْ يُدركَ منْهُ الأرَب، اللَّهُمَّ إلاَّ أنْ يَصْحُوَ ويَعْلَمَ مَا هُوَ فيه منْ خَطَر ثُمَّ يَقْتدي بالسَّلَف الصَّالح ممَّنْ أخْلاقُهُم عَلَى صَفَحَات الدَّهْر مكتُوبَةٌ، وفَضَائلُهم في غُـرَر المَحَاسن مَحْسُوبَةٌ، وآدابهم إلى كلِّ بلَد مَجْلُوبَةٌ، وعَسَى أنْ يَلْحَقَ ابْنُ اللَّبُون بالبُزْل القَنَاعيس فَمَنْ سَارَ عَلَى الدَّرْب وَصَلَ يَوْمًا مَّا.

كما قيل لبعض السلف: بيننا وبين القوم مفاوز تنقطع فيها أعناق المطي فهم على خيل بلق ونحن على حمر معقرة فقال: أنت على اللحاق بهم ما دمت على دربهم.

أمَّا من لم يَسْتَجبْ ويَـرْعَـوي مع تَتَابُع النُّذُر وتَوَاتُر النُّصح ووضُوح الخَبَر فَكَبِّرْ عَلَيْه أرْبعًا إذ قد رَضينَا منْ غَنيمَته بالنَّجاة منْهُ في الذَّهاب والسَّلامَة في الإيَاب، وصدق الله حين قال: « فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ » (الرعد: ٤٠).

إنَّ هَؤُلاء القَوْمَ الموصُوفينَ بمَا تقدَّم، والمُوسُومينَ بمَا تَعْلَم صَارُوا بأخْلاَقهم في عَيْن أمَّتنا قَذَى وفي حَلْقها شَجًا، كَيْفَ لا؟! وأمْنيَّتُهم الجَامحَة، وهمَّتُهمُ الطَّامحَةُ لا تَعْرفُ غَيْرَ التَّعويل عَلَى الظَّاهر مَهْمَا كَانَ رَديئًا، ولا تَكَادُ تَذْكُرُ البَاطنَ والمَخْبَر ولو كَـانَ تـبْرًا نَفيسًا ومَعْدنًا ثَمينًا، فالكَسَلُ والتَّواني عنْدَهُم غَنيمَةٌ، والنَّميمَة

وأكل لُحوم النَّاس- لا سِيَّمَا المخَالفِينَ - لَدَيْهم أكْمل شيمَة.

ولا رَيْب أنَّ هـذا في التَّصوُّر والفَهْم تطرُّف، وفي الحُكْم على الأُمور تَحَيُّفٌ، وقعْقَعةٌ فارغةٌ وزوْبَعَةٌ جَوْفاءُ، وبمثْل هَذا التَّصوُّر المهين يَزِلُّ القائلُ، ويَضِلُّ السَّائل، ويَخيبُ الآمـل، وتَضيعُ أممٌ، وتَسْقُطُ حضَارَاتٌ، ثُمَّ يَعْلو بَاطلٌ حَقًّا وتَكونُ كَوَائنُ الله بهَا عَليمٌ، وتَذْهبُ أجيالٌ غيرَ مأسُوف عَلَيْهَا حتَّى تَذْهَبَ كأمْس الدَّابر.

وَقَدْ يَمُوتُ كَثِيرٌ لا تُحِسُّهُمْ
كأنَّهم مِنْ هَوَانِ الخَطْبِ مَا وُجِدُوا

وَوَالله- الذي لا يُحلَفُ إلاَّ به- مَا هَذه البَلايَا التي نَعيشُها في زَمَاننَا ونَشْكو منها عَظيمَ الشَّكايَة إلاَّ منْ وَرَاءِ هَذه العُقُول الضَّيِّقَة الضَّئيلة، والأفْهَام المُتَضَائلَة العَليلَة، فالله حَسيبُهم بمَا عرَّضُوا بأعْمَالهم عرَضَ الدِّيَانَة للاسْتهْزَاء، وجعَلُوا المِلَّة بأفْعالهم هدفَ العَدُوِّ للاسْتزراء، ومَنْ سَلَكَ هَذا المَسْلَكَ خَلَط، وَمَشَى مَشْيَ عَشْوَاءَ وخَبَطَ، فَنَزَلَ به الخَرَابُ والتَّبَابُ، وغَلَبَ عليْه البَوَارُ والانْكسارُ، حَتَّى يُصْبح في الشَّرِّ فاحشَ الخَطأ، وفي الخَيْر قَصيرَ الخُطَا، ولو أقْنَعْتَ أحدَهُم بما تَقُولُ لأعْرَضَ ومَضَى قائلاً: لا تَهْتَمَّ فَذا شَرْحٌ يَطُول، ولَوْلا أنَّ صُدُورَ الأحْرار قُبُورُ الأسْرار- كَمَا يُقَالُ - لَبُحْنَا بأكْثر منْ ذَلكَ لكنَّ الغَرَض النَّصيحَةُ والتحذيرُ، لا التَّغْييرُ والتَّشْهيرُ، وإذَا بَلَغَ المَاءُ قُلَّتَيْنِ لَمْ يَحْمل الخَبَثَ، أعَاذَنَا الله منْ شُرُور العَمَلَة، ونَجَّانا منْ ظُلم الظَّلَمَة.

وَمَا أعْظَمَ قولَه صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ في تَلْخيص وصْف المؤْمن، وتَخْليص نَعْت المُسْلم: «المُسْلمُ مَنْ سَلمَ المُسْلمُونَ منْ لسَانه ويَده، والمُؤْمنُ مَنْ أمنَهُ النَّاسُ عَلى دمَائهمْ وَأمْوَالـهـمْ» رواه الترمذي (٢٦٢٧) وقال: هَذَا حديثٌ حَسَنٌ صَحيحٌ.

فالمُؤمنُ حقّ الايمان مَنْ سَلمَ النَّاسُ منْ شرِّ يَده ولسَانه، فيَدُه مبْسُوطَةٌ بالخَير لكلِّ الأشْهَاد، لا يَقْبضُها إلا على نَواصي الأعْداء والحُسَّاد، وكان مع ذَلكَ مأمونَ الجانب، مَوْثُوقَ الأمَانَة على المال والدَّم والعرْض.

فأيْنَ هَذا منَ الذينَ يَقفُون مَع الصُّوَر والأشْكال ويَعُدُّونها كلَّ شيْء ثمَّ يَتَّخذُونَ النَّاسَ غَرَضًا؟!

فتبًّا لَهُم من قـوْم طَـاف طَائفُهُم، ونَجـمَ بالشَّرِّ نَاجمُهُم، ما هم إلاَّ كالعَيْن المالحة والوُجُوه الكالحة لا تَرى منْهَا إلاَّ مَا يُؤْذي العبادَ، أوْ هُمْ كالمَيَازيب تَجْمَعُ المَاءَ كَدرًا وتُفرِّقه هَدرًا.

والعجب أنهم إذا عُوتبُوا حَسَرُوا قنَاعَ الشِّقاق، وإنْ عُولطُوا تَلثَّمُوا بلثَام المُرَاوغَة والنِّفَاق، فاللهُمَّ غُفْرًا، وكَثيرٌ منهم يَتَعَلَّل بفعْل بعض السُّنَن وهيَ عَلى أهَمِّيَتها وقيمَتها؛ إلا أنهم يَتَنَاسَوْنَ بهَا أمُورًا عظَامًا وأشْياءَ كبَارًا، وكأنَّ هذا منَ العُذْر عنْدَهُم، ولَنْ تَعْدَمَ خَرْقَاءُ علَّةً (وهو مَثَلٌ يُقَال لكل مُعْتَذر وهو يَقْدرُ).

إنَّ هؤلاَءِ الذينَ نَشْكُو منْهُم، فيهم أُناسٌ - وهُمْ كثْرةٌ كاثرةٌ- اشْتَغَلُوا بزُخْرف القَوْل، ومنهم خلقٌ لا يُحْصَون يَعْملون على تَزْيين الكذب وتَمْويه البَاطل حتَّى صَارَ نَفْعُهُم للإسْلاَم كسرَاب بقيعَة يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ ماءً حتَّى إذا جَاءَهُ لَم يَجدْهُ شيْئًا، فلا هُمْ للدِّين نَصرُوا، ولا لأعْدائه كسَرُوا، بَل لاَ يَسْتَطيعُون صرْفًا ولا نَصْرًا؛ فأنَّى لهَؤُلاَء أنْ يَرْفعَ الله مَنَارَهم أو أنْ يَجْعلَهم أئمَّةً وَهُو القَائلُ سُبْحانَه: «وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ» (البقرة: ١٢٤)، وتلك عَـواقبُ البَـاطل دائمًا خافضةٌ مُرْديةٌ، بَيْدَ أنَّ عَواقبَ الحقِّ دوْمًا رافعةٌ مُنْجيةٌ، وهي سنةُ الله فيمَن أزَاله وأدَاله ولن تَجدَ لسُنَّة الله تبديلاً، ولن تَجدَ لسُنَّة الله تَحْويلاً.

نَعَمْ لقدْ تقطَّعتْ بنَا الأسْبابُ ونَزَلَتْ بنا صُرُوفُ الدَّهْر وريْبُ المنُون، وبلَغْنَا حالاً يَسُوءُ منظَرُهَا ولا يَسُرُّ مخْبَرُها وبدلاً من أن يَطيبَ لنا بأخْلاَقنَا العيشُ، أصْبَحت الأخْلاَقُ خَلقَةً وأدْرَكَهَا الطَّيْشُ، وقَدْ أتَتْكَ بحَائن (هَالك) رجْلاَهُ، ونعوذ بالله من سوء القضاء ومُرِّ القَدَر.

ووالـذي لا إلـه إلا هو لـولا حفظ الله الدين والخُلق بطائفة لا يضرُّهم من خذَلَهُم لصرْنَا على حين فـتْرة من الرُّسُل، إذ كُسُوف شمس الأخْلاَق قد طَالَ، وطُموسُ سُبُله قدْ مَلَّ وأمَالَ، وسبيلُ الحقِّ عافيةٌ آثـارُهُ، منْكُوسةٌ أعلاَمُه، مَطْويَّةٌ أخْبَـارُه، هذا مع اضطرام نـار الفتَن، وتطايُر شَرَرها، وإقبال لَيْل قد اشتدَّ قَتَامُه، وادْلَهَمَّ ظلاَمُه، فاللهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ.



إدارة الغضب بين التقييم والتقويم

طبيعة الغضب

الحلقة الثانية

إعداد/ د. ياسر لمعي عبد المنعم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد: فقد ذكرت في المقال الأول أن الغضب كارثة على الصحة البشرية، وهو من أكثر المشاعر السلبية التي تصيب الإنسان عند شعوره بعدم الرضا من أمرٍ ما، أو عند الانزعاج من أحد المواقف، وهو نقيض الرضا، ويرافق الغضبَ تهيجٌ واحمرارٌ في الوجه مع البكاء أو الرغبة فيه في معظم الأحيان - عند النساء-، وعندما يغضب الإنسان يثور كالبراكين ويُفقده الغضب القدرة على التحمل والتفكير.

إن الغضب غريزة فطرية تعتري الجميع لا مفر عنه، ولا مناص منه، لكن كيف تقيمهُ على مقياس الشرع.. ثم تقوِّمه بضوابط الدين؟ وكيف تتحكم فيه وتُحسن إدارته؟

لذا كانت هذه المقالات أخذتها من كتابي (إدارة الغضب بين التقييم والتقويم) ستكون بين أيديكم مقالات شهرية، بينت فيه الغضب وطبيعته، وأنواعه، ودرجاته، وأسبابه، وطرق وخطوات إدارته، وعلاجه، مسترشداً بكتاب الله، وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبأقوال وأفعال السلف الصالح ما استطعت إلى ذلك سبيلاً.

طبيعة الغضب:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ألا وإن الغضب جمرة في قلب ابن آدم. أما رأيتم إلى حمرة عينيه، وانتفاخ أوداجه. فمن أحس بشيء فليلتصق بالأرض». (أخرجه أحمد في المسند (١٣٢/١٨)).

وفي حديث صفية زوج النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم» (أخرجه البخاري (٣١٠٧)).

وفي حديث عطية السعدي قال الرسول صلى الله عليه وسلم: «إن الغضب من الشيطان، وإن الشيطان خُلق من النار، وإنما تُطفأ النار بالماء، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ» (أخرجه أحمد (١٧٩٨٥)).

وفي حديث عروة عن عائشة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج من عندها ليلاً. قالت فغرت عليه. فجاء فرأى ما أصنع. فقال: «ما لك؟ يا عائشة! أغرت؟» فقلت: وما لي لا يغار مثلي على مثلك؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أقد جاءك شيطانك؟» قالت: يا رسول الله، أو معي شيطان؟! قال: «نعم». قلت: ومع كل إنسان؟ قال: «نعم» قلت: ومعك يا رسول الله؟ قال «نعم. ولكن ربي أعانني عليه حتى أسلم». (أخرجه مسلم (٢٨١٥)).

تظهر لنا طبيعة الغضب ومكامنه في الإنسان، والصورة الباطنة والظاهرة لانفعال الغضب الذي يعتري الإنسان؛ نتيجة بعض المثيرات-التي سوف نتحدث عنها في الأعداد القادمة- ويعرض له في

أحواله وتقلباته الدنيوية، ونخلص إلى الآتي:

١- أن للغضب طبيعة نارية متوقدة داخل النفس، تعبر عن ذلك بمظاهر أقرب ما تكون للنار في حرارتها، ولونها، ومفعولها، وآثارها، وأن له تعبيرات نابعة من هذه الطبيعة يمكن الاستدلال بها عليه، مثل: احمرار العين، وانتفاخ الأوداج، وصخب الصوت، ولجاجة الكلمات.

٢- أن الغضب من الشيطان، وأن الشيطان قرين الإنسان الملتصق به، وربما جرى منه مجرى الدم، كما في الحديث المذكور سابقاً. والشيطان خلق من نار، فهو ذو طبيعة نارية، يبث الغضب في نفس الإنسان. وقد قال تعالى عن أصل خلق الشيطان: ﴿ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴾ (الرحمن: ١٥)، فكون الشيطان من النار، وكون الشيطان مقارناً للإنسان متابعاً له، كل ذلك يبين بعضاً من العمليات الداخلية الخفية الدافعة للغضب، والمؤثرة فيه، والظاهرة نتائجها.

٣- أن الغضب أمر غريزي، وطبع جبلي، ينشأ عنه وبه تغيرات عضوية من حرارة، وتقلص في العضلات، وافرازات غُدية، واستعداد للمقاتلة والمواجهة. وأن لهذا حرارة داخلية كامنة، يحسها من اشتد غضبه، كما يحس الجائع، أو العطشان بجوعه أو عطشه.

والغضب كطبع غريزي واستعداد جبلي يختلف عن السلوك العدواني؛ إذ العدوان ليس غريزة عند الإنسان، كما أن المولود يولد على الفطرة وهي التوحيد، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما من مولود إلا ويولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه». (أخرجه البخاري (١٢٩٢)).

والتوحيد أصل كل خير وبر؛ وبهذا لا يمكن أن يكون العدوان غريزة وجبلّة فيه، ثم تأتي العوامل البيئية لتلفته عن أصل الخير، وتغرس فيه الشر والعدوان وغيرهما.. جراء التربية أو الصحبة.

٤- أن الغضب في حال استثارته وشدته يملأ النفس ويستولي عليها، ويأخذ بلبها وأطرافها، ويكاد يغطي العقل، ويعمي البصيرة، ويضعف التفكير، وينشأ في النفس منه فورة وغليان، وتحول وجَيَشان مما هو قابل للزيادة والنمو؛ وذلك لما يقوم عليه من استعدادات وقابلية لا ترفض ذلك الجَيَشان في أصل الطبع؛ ولهذا جاء وصف إيقاف الغضب ورده بالكظم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من كظم غيظاً وهو قادر على أن يُنْفِذَه، دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق يوم القيامة حتى يخيِّره من أي الحور العين شاء» (أخرجه أبو داوود برقم (٤٧٧٧)).

والكظم يعني الاجتراع، وجاء الجزاء على الكظم عظيماً أيضاً؛ لما فيه من معاناة لكبح النفس الفوارة. (مختار الصحاح، لمحمد بن أبي بكر الرازي، مادة (كظم)).

٥- أن للغضب علاقة بالكبر والاستعلاء فهو باب الكبر، ومثير الاستعلاء والغضب، فدائماً هو مشوب ومرتبط بهما، فمنشؤه النار والشيطان، وقد بين الله تعالى في أكثر من موقع في القرآن كبرياء الشيطان واستعلاءه، وفخره بأن أصل خلقه من النار ذات البأس والشأن قال تعالى: ﴿ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ۝٧٥ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴾ (ص: ٧٥-٧٦)، فالغضب والكبر طبيعتان مقترنتان في أكثر الأحيان، تغذي إحداهما الأخرى؛ وذلك لما في أصل الكبر والغضب من التصاحب والتناسب.

والخلاصة:

الغضب تصرف لا شعوري وانفعال يهيِّج الأعصاب، ويحرِّك العواطف، ويعطِّل التفكير، ويُفقد الاتزان، ويزيد في عمل القلب، ويرفع ضغط الدم؛ وبذلك يزداد تدفقه على الدماغ، وتضطرب الأعضاء، ويظهر ذلك بجلاء على ملامح الإنسان فيتغير لونه، وترتعد فرائصه، وترتجف أطرافه، ويخرج عن اعتداله، وتقبح صورته، فإن لم يكبح جماح نفسه تفلت لسانه، فنطق بما يشين من الشتم والفحش، وامتدت يده لتسبقه إلى الضرب والعنف، وربما القتل بما يندم عليه ولات ساعة مندم.

هذا ما تيسر ذكره في الباب، والله أسأل أن يحفظكم بحفظه، وأن يبارك فيكم، إنه ولي ذلك والقادر عليه، نلتقي الشهر القادم إن شاء الله مع أنواع الغضب، هذا، وصل اللهم وسلم وبارك على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

باب الفقه

منهيات الصلاة

الالتفات في الصلاة

إعداد/ د. حمدي طه

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وسلم، وبعدُ:
تكلمنا قبل ذلك عن المنهيات في الصلاة، وفي هذا العدد نتكلم عن الالتفات في الصلاة، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

١- الالتفات في الصلاة:

الالتفات صرف الوجه ذات اليمين أو الشمال. وقد يراد به الانحراف بالوجه والصدر أيضًا.

حكم الالتفات في الصلاة:

رأي الحنفية:

يرى الحنفية كراهة الالتفات في الصلاة، وحدّ الالتفات المكروه أن يحوِّل وجهه عن القبلة، وقيده في الغاية بأن يكون لغير عذر (انظر البحر الرائق لزين الدين ابن نجيم ٢/ ٢٣).

ودليل كراهة الالتفات لغير حاجة ما ورد عن عائشة قالت: «سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الالتفات في الصلاة، فقال: «هو الاختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد» رواه البخاري.

قال الطيبي: سمى الالتفات اختلاساً، تصويراً لقبح تلك الفعلة بالمختلس؛ لأن المصلي يقبل على ربه تعالى والشيطان مرتصد له ينتظر فوات ذلك عليه، فإذا التفت اغتنم الشيطان الفرصة فسلبه تلك الحالة. ونسب إلى الشيطان لأنه المتسبب فيه (انظر فتح الباري لابن حجر: ٢/ ٢٣٥).

ولحديث أبي ذر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا يزال الله عزّ وجل مُقبلاً على العبد وهو في صلاته ما لم يلتفت، فإذا التفت انصرف عنه». أخرجه أحمد وأبو داود.

ويدل لعدم فساد الصلاة بهذا الالتفات قوله في الحديث: «يختلسها الشيطان من صلاة العبد» فإنه سماها صلاة معه.

أما تحويل الوجه لعذر فغير مكروه؛ لقول جابر: اشتكى النبي صلى الله عليه وسلم فصلينا وراءه وهو قاعد، فالتفت إلينا فرآنا قياماً فأشار إلينا فقعدنا فصلينا بصلاته قعوداً (الحديث). أخرجه مسلم.

وإنما كره لغير عذر؛ لأنه انحراف عن القبلة ببعض بدنه، ولو انحرف عنها بجميع بدنه فسدت، فإن انحرف ببعض بدنه كره كالعمل القليل. (انظر البحر الرائق لزين الدين ابن نجيم ٢/ ٢٣).

فأما النظر بمؤخر العين يمنة أو يسرة من غير تحويل الوجه فليس بمكروه لما روي أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يلاحظ أصحابه بمؤخر عينيه؛ ولأن هذا مما لا يمكن التحرز عنه. (انظر بدائع الصنائع للكاساني ١/ ٢١٥).

رأي المالكية:

يرى المالكية أن الالتفات في الصلاة يُكره بلا حاجة مهمة، ولو بجميع جسده حيث بقيت رجلاه للقبلة، وإلا بطلت الصلاة. (أي: الالتفات بالصدر وبجميع البدن لا يبطل الصلاة بشرط أن تبقى القدمان ثابتتين، إلا أنه مكروه). (انظر الشرح الكبير للدردير ١/ ٢٥٤).

والالتفات على ضربين:

مباح ومكروه، فما كان للحاجة فمباح لحديث أبي بكر رضي الله عنه حين التفت في الصلاة فرأى النبي صلى الله عليه وسلم فتأخر، وقال صلى الله عليه وسلم: «من نابه شيء

في صلاته فليقل سبحان الله، فإنه لا يسمعه أحد حين يقول سبحان الله إلا التفت إليه»، وفي حديث أبي داود عن سهل بن الحنظلية «قال ثوّب بالصلاة يعني الصبح فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يصلي وهو يلتفت إلى الشعب، وكان أرسل فارسًا إلى الشعب من الليل يحرس».

وأما الالتفات لغير ضرورة فمكروه لحديث عائشة رضي الله عنها، ولحديث أبي ذر رضي الله عنه، وقد سبق ذكرهما في أدلة الحنفية. (انظر مواهب الجليل شرح مختصر خليل للشيخ عليش ٤/١٩٣).

والالتفات عندهم بعضه أخف بالكراهة من بعض، فالالتفات بالخد أخف من لي العنق، ولي العنق أخف من لي الصدر، والصدر أخف من لي البدن كله.

رأي الشافعية:

يرى الشافعية أن المصلي إذا التفت في الصلاة وتحول بصدره عن القبلة بطلت صلاته، وإن لم يتحول لم تبطل، لكن إن كان لحاجة لم يكره وإلا كره كراهة تنزيه.

ودليل الكراهة لغير حاجة حديث عائشة رضي الله عنها، ودليل عدم الكراهة لحاجة حديث ابن عباس «كان النبي صلى الله عليه وسلم يُصلي يلتفتُ يميناً وشِمالاً، ولا يلوي عنقه خلف ظهره». أخرجه أحمد.

وحديث جابر رضي الله عنه وحديث سهل بن سعد رضي الله عنه، وحديث سهل بن الحنظلية رضي الله عنه، ففي هذه الأحاديث دلالة على كراهة الالتفات في الصلاة من غير حاجة. (انظر المجموع للنووي ٤/٩٦).

وقد قسم بعض الشافعية الالتفات في الصلاة يمينًا وشمالاً ضربين:

أحدهما: أن يلتفت بجميع بدنه ويحوِّل قدميه عن جهة القبلة؛ فإن فعل ذلك لم يخلُ حاله من أحد أمرين، إما أن يكون عامدًا، أو ناسيًا، فإن كان عامدًا فصلاته باطلة سواء طال ذلك أو نقص، لأنه فارق ركنًا من أركان صلاته عامدًا مع القدرة عليه.

وإن كان ناسيًا، فإن تطاول الزمان بطلت صلاته، وإن قرب الزمان وقصر كانت صلاته جائزة، لأنه عمل يسير وعليه سجود السهو.

والضرب الثاني: أن يلتفت بوجهه من غير تحويل قدميه، فلا يخلو حاله من أحد أمرين، إما أن يقصد به منافاة الصلاة، أو لا يقصد فإن قصد منافاة الصلاة بطلت صلاته، لأنه لو قطع الصلاة من غير التفات بطلت صلاته، وإن لم يقصد منافاة الصلاة فصلاته جائزة ما لم يتطاول ويمنعه ذلك من متابعة الأركان ولا سجود للسهو عليه، ويكره الالتفات في الصلاة بكل حال. (انظر الحاوي للماوردي ٢/١٨٨).

رأي الحنابلة:

يرى الحنابلة أنه يكره في الصلاة التفات يسير بلا حاجة؛ لحديث عائشة رضي الله عنها. فإن كان لحاجة (كخوف) على نفسه أو ماله (ونحوه) أي نحو الخوف كمرض لم يكره؛ لحديث سهل بن الحنظلية رضي الله عنه.

وتبطل الصلاة إن استدار المصلي بجملته أو استدبر القبلة، لتركه الاستقبال بلا عذر، ما لم يكن في الكعبة، أو في شدة خوف، أو إذا تغير اجتهاده، فلا تبطل إن التفت بجملته، أو استدبر القبلة، لسقوط الاستقبال حينئذ، وفي حالة تغير الاجتهاد؛ لأنها صارت قبلته. ولا تبطل الصلاة لو التفت بصدره ووجهه؛ لأنه لم يستدر بجملته. (انظر كشاف القناع للبهوتي١/٣٦٩).

رأي الظاهرية:

ويرى الظاهرية إباحة الالتفات في الصلاة لمن أحسَّ شيئاً استدلالاً بحديث سهل بن سعد السابق ذكره؛ ففي هذا الحديث إباحة الالتفات للنائب ينوب في الصلاة، فمن التفت عبثًا لغير نائب بطلت صلاته، لأنه فعل ما لم يبح له، واستدلوا لذلك بحديث أبي ذر وحديث عائشة وقد مرا معنا، قال ابن حزم: «من صرف الله تعالى وجهه عنه في الصلاة فقد تركه ولم يرض عمله، وإذ لم يرض عمله فهو غير مقبول بلا شك، وقد أيقنا أن الالتفات الذي نهى الله تعالى عنه وسخطه

هو غير الالتفات الذي أمر به، وعلمنا أن من اختلس الشيطان بعض صلاته فلم يتمها، وإذا لم يتمها فلم يصل. (انظر: المحلى ٣/٧٨).

وخلاصة ما سبق من أقوال أهل العلم: كراهة الالتفات بالوجه في الصلاة من غير حاجة. وهو متفق عليه. أما إذا كان لحاجة فلا يكره اتفاقاً، وهذا في الالتفات بالوجه.

أما التفاتُ البصر يَمنة ويَسْرَة من غير تحويل الوجه لغير حاجة فخلاف الأولى. ولا بأس به لحاجة عند الحنفيين ومالك، وعليه يُحمل قول ابن عباس: كان النبي صلى الله عليه وسلم يُصلي يلتفتُ يميناً وشِمالاً ولا يلوي عنقه خلف ظهره.

أما الالتفات والتحول عن القبلة بجميع بدنه فهو مبطل للصلاة اتفاقاً. وكذا التحول بالصدر عند الحنفية والشافعية. ولا تبطل عند الحنبلية إلا إن استدار بجملته أو استدبرها في غير الكعبة وشدة الخوف. وكذا لا تبطل عند المالكية ما لم يكن في القبلة التي يضر فيها الانحراف اليسير كالمصلي إلى عين الكعبة فإن صلاته تبطل متى خرج عن سَمتها بوجهه أو بشيء من بدنه ولو أصبعاً وبقيت رجلاه وجسده لها. (انظر الدين الخالص ١/٢١٣).

والواجب على المسلم أن يكون خاشعًا في صلاته، مخبتاً لربه، متذللاً بين يديه، يرجو ويطمع قبول العبادة، ويخاف ويخشى ردها، جعلنا الله وإياكم من المقبولين الفائزين.

٢- رفع البصر إلى السماء:

ذهب جمهور الفقهاء من الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة إلى كراهة رفع المصلي بصره إلى السماء، لحديث أنس، قال: قال النبي صلّى الله عليه وسلم: «ما بال أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء في صلاتهم؟! فاشتد قوله في ذلك، حتى قال: لينتهين عن ذلك، أو لتخطفن أبصارهم» (انظر البحر الرائق لزين الدين ابن نجيم ٢/٢٣، المجموع للنووي ٤/٩٧، الشرح الكبير شرح المقنع لابن أبي عمر ١/٦٠١).

وقال المالكية: إن كان ذلك للموعظة والاعتبار بآيات السماء، فلا يكره. (انظر منح الجليل شرح مختصر خليل للشيخ عليش). واستثنى الحنابلة حالة التجشي، فلا يكره. (انظر حاشية الروض المربع لابن قاسم٣/٨٣).

ومذهب الظاهرية أن الصلاة تبطل برفع المصلي بصره إلى السماء.

قال ابن حزم بعد ذكر حديث الباب: «هذا وعيد شديد، والوعيد لا يكون إلا على كبيرة من الحرام، لا على مباح أو مكروه أصلاً، ولا على صغيرة مغفورة، وقال بهذا طائفة من السلف. وقد رأى ابن مسعود قومًا رافعي أبصارهم إلى السماء في الصلاة، فقال: لينتهين أقوام يرفعون أبصارهم في الصلاة أو لا ترجع إليهم، وقال أيضًا: أو ما يخشى أحدكم إذا رفع رأسه قبل الإمام أن يحول الله تعالى رأسه رأس كلب». (المحلى٤/١٧).

واستدل بعض من قال بالبطلان لذلك بدليلين:

الأول: أنه انصرف بوجهه عن جهة القبلة؛ لأن الكعبة في الأرض، وليست في السماء.

الثاني: أنه فعَل محرمًا منهيًا عنه في الصلاة بخصوصها، وفعل المحرم المنهي عنه في العبادة بخصوصها يقتضي بطلانها. (انظر الشرح الممتع لمحمد بن صالح العثيمين ٣/٤٠).

وهذا الحديث الذي احتج به الجمهور ظاهره فوق الكراهية، فإن ظاهره التحريم وهو قول في مذهب أحمد، أما كونه محرماً فلظاهر الحديث المتقدم، فإن فيه وعيداً ولا يكون الوعيد إلى على فعل محرم. لكنه لا تبطل به الصلاة خلافاً للظاهرية؛ لأن النهي لا يعود إلى ذاتها، فالصلاة قد ثبتت بشروطها وأركانها وهذا خارج عن ذاتها. إذن الراجح: أنه محرم مع عدم بطلان الصلاة به خلافاً للظاهرية. (انظر شرح الزاد للحمد ٥/١٤٣).

أما رفع البصر إلى السماء في غير الصلاة لدعاء ونحوه فجوزه الأكثرون.

وللحديث بقية إن شاء الله.

نسأل الله أن يفقهنا في ديننا.

التربية على مراقبة الله عز وجل

إعداد/ د. عبد العظيم بدوي

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد: ونحن في لحظات توديع شهر الصيام يجب علينا أن نتساءل: هل حققنا الغاية من الصيام، وكيف نستفيد من الصيام فيما بعد الصيام؟

والجواب: إن الله تعالى بين في هذه الآية الحكمة من الصيام فقال: « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ » (البقرة: ١٨٣). فهذه هي فائدة الصيام الكبرى وحكمته العليا (لعلكم تتقون)، وهو أنه يعد نفس الصائم لتقوى الله تعالى بترك شهواته الطبيعية المباحة الميسورة امتثالاً لأمره واحتسابًا للأجر عنده، فتتربى بذلك إرادته على ملكة ترك الشهوات المحرمة والصبر عنها فيكون اجتنابها أيسر عليه، وتقوى على النهوض بالطاعات والمصالح والاصطبار عليها فيكون الثبات عليها أهون عليه، فليس الصيام في الإسلام لتعذيب النفس لذاته بل لتربيتها وتزكيتها.

وإعداد الصيام نفوس الصائمين لتقوى الله تعالى يظهر من وجوه كثيرة أعظمها شأنًا، وأنصعها برهانًا وأظهرها أثرًا، وأعلاها خطرًا- شرفًا- أنه أمر موكول إلى نفس الصائم لا رقيب عليه فيه إلا الله تعالى، وسر بين العبد وربه لا يشرف عليه أحد غيره سبحانه، فإذا ترك الإنسان شهواته ولذاته التي تعرض له في عامة الأوقات لمجرد الامتثال لأمر ربه والخضوع لإرشاد دينه مدة شهر كامل في السنة، ملاحظًا عند عروض كل رغيبة له- من أكل نفيس، وشراب عذب، وفاكهة يانعة، وغير ذلك كزينة زوجة أو جمالها الداعي إلى ملابستها- أنه لولا اطلاع الله تعالى عليه ومراقبته له لما صبر عن تناولها وهو في أشد التوق لها، لا جرم أنه يحصل له من تكرار هذه الملاحظة المصاحبة للعمل ملكة المراقبة لله تعالى والحياء منه سبحانه أن يراه حيث نهاه، وفي هذه المراقبة من كمال الإيمان بالله تعالى والاستغراق في تعظيمه وتقديسه أكبر معد للنفوس ومؤهل لها لضبط النفس ونزاهتها في الدنيا، ولسعادتها في الآخرة. تفسير المنار (١١٦/٢)

وهذا ما يعبر عنه ب (خشية الرحمن بالغيب)، فالصائم يدع طعامه وشرابه وشهوته وإن كان وحده من أجل الله، الذي آمن بأنه يراه، ولذلك جعل الله تعالى (خشية الرحمن بالغيب) من صفات المتقين، فقال تعالى: « وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ (٣١) هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ (٣٢) مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ » (ق: ٣١- ٣٣).

وقوله تعالى: «خشي الرحمن بالغيب» أي من حيث لا

يراهم أحد، قاله الزجاج. وقال أبو سليمان الدمشقي: يخافونه إذا غابوا عن أعين الناس كخوفهم له إذا كانوا بين الناس.

وقيد الخشية بالغيب لأنها المعول عليها، دون خشية الشهادة والعلانية، لأن خشية العلانية دون خشية الغيب نفاق ورياء، تحبط الأعمال، وتبطل الأجر والثواب، كما قال تعالى: « يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا » (النساء: ١٠٨).

قال السعدي: وهذا من ضعف الإيمان، ونقصان اليقين، أن تكون مخافة الخلق عندهم أعظم من مخافة الله، فيحرصون بالطرق المباحة والمحرمة على عدم الفضيحة عند الناس، وهم مع ذلك قد بارزوا الله بالعظائم، ولم يبالوا بنظره إليهم، واطلاعه عليهم، وهو معهم، عالم بهم، مطلع عليهم، لا يخفى عليه خاف من سرهم.

قال سليمان التيمي: إن الرجل ليصيب الذنب في السر فيصبح وعليه مذلته. وقال غيره: إن العبد ليذنب الذنب فيما بينه وبين الله، ثم يجيء إلى إخوانه فيرون أثر ذلك عليه. وهذا من أعظم الأدلة الدالة على وجود الإله الحق، المجازي بذرات الأعمال في الدنيا قبل الآخرة، ولا يضيع عنده عمل عامل، ولا ينفع من قدرته حجاب ولا استتار، فالسعيد من أصلح ما بينه وبين الله، فإن من أصلح ما بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين الخلق، ومن التمس محامد الناس بسخط الله عاد حامده من الناس ذامًا له.

وعن ثوبان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لأعلمن أقوامًا من أمتي يأتون يوم القيامة بحسنات أمثال جبال تهامة بيضا فيجعلها الله عز وجل هباء منثورا». قال ثوبان: يا رسول الله صفهم لنا! جلهم لنا! أن لا نكون منهم ونحن لا نعلم! قال: «أما إنهم إخوانكم ومن جلدتكم ويأخذون من الليل كما تأخذون ولكنهم أقوام إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها».

ولقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه: «أسألك خشيتك في الغيب والشهادة»، وكان يوصي بذلك أصحابه:

فعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اتق الله حيثما كنت»، أي في السر والعلانية، حيث يراك الناس وحيث لا يرونك.

وعن سعيد بن يزيد الأنصاري رضي الله عنه أن رجلا قال: يا رسول الله! أوصني. قال: «أوصيك أن تستحيي من الله عز وجل كما تستحيي رجلا من صالحي قومك».

وهذا هو السبب الموجب لخشية الله في السر. فإن من علم أن الله يراه حيث كان، وأنه مطلع على باطنه وظاهره، وسره وعلانيته، واستحضر ذلك في خلواته، أوجب له ذلك ترك المعاصي في السر.

وسئل الجنيد رحمه الله: بم يستعان على غض البصر؟ فقال: بعلمك أن نظر الله إليك أسبق من نظرك إلى من تنظر إليها.

وكان الإمام أحمد رحمه الله: كثيرا ما يتمثل بهذين البيتين:

إذا ما خلوت الدهر يوما فلا
تقل خلوت ولكن قل علي رقيب
ولا تحسبن الله يغفل ساعة
ولا أن ما تخفي عليه يغيب

وكان السلف رضي الله عنهم يتواصون بما وصاهم به النبي صلى الله عليه وسلم من خشية الرحمن بالغيب، فكان بعضهم يقول لأصحابه: زهدنا الله وإياكم في الحرام، زهد من قدر عليه في الخلوة فعلم أن الله يراه، فتركه من خشية الله.

وكتب ابن السماك رحمه الله الواعظ إلى أخ له يقول: أما بعد: أوصيك بتقوى الله الذي هو نجيك في سريرتك، ورقيبك في علانيتك، فاجعل الله من بالك على كل حال في ليلك ونهارك، وخف الله على قدر قربه منك، وقدرته عليك، واعلم أنك بعينه، ليس تخرج من سلطانه إلى سلطان غيره، ولا من ملكه إلى ملك غيره، فليعظم منه حذرك، وليكثر منه وجلك. والسلام.

فانتهاك المحرمات في الخلوات من المهلكات، وخشية الله في الغيب من المنجيات:

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: ورجل طلبته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله، ورجل تصدق أخفى حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه». فنسأل الله تعالى أن يرزقنا خشيته في السر والعلانية، والغيب والشهادة.

والحمد لله رب العالمين.

أخطاء الآباء في تربية الأبناء

ثامنا: تربية الأولاد على سلاطة اللسان والجرأة المنافية للحياء واعتبار ذلك شجاعة

إعداد/ جمال عبد الرحمن

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد: نتابع في هذا العدد الحديث عن أخطاء الآباء والأمهات والمعلمين والمربين في تربية النشء، فنقول وبالله التوفيق:

تربية الأبناء مسئولية الآباء والأمهات، وكثيرًا ما يهملونها، مستسهلين الإهمال فيها؛ لعدم ظهور آثار ذلك مبكرًا، فإذا جاء الموعد، وحان وقت القطاف؛ جاءت الثمرة مُرة حنظلية، فبدأ الآباء يشتكون بل يصرخون مما آل إليه أمر أبنائهم، ناسين أو متناسين أنهم كانوا السبب الرئيس وراء تلك المرارة، قصدوا أو لم يقصدوا. وهذا بلا شك خلل في التربية.

ولقد أمر المولى العليم الحكيم بتدارك هذا الخلل بتعاهد الطفل بالتربية منذ نعومة أظفاره، فقال جل شأنه: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ» (التحريم: ٦).

قال أبو جعفر الطبري رحمه الله: "قوله تعالى: «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْليكُمْ نارًا....» يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله (قوا أَنْفُسَكُمْ) يقول: علموا بعضكم بعضا ما تقون به من تعلمونه النار، وتدفعونها عنه إذا عمل به من طاعة الله، واعملوا بطاعة الله. وقوله: (وَأَهْليكُمْ نَارًا) يقول: وعلموا أهليكم من العمل بطاعة الله ما يقون به. أنفسهم من النار......عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه في قوله: (قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْليكُمْ نَارًا وَقودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ) قال: علموهم، وأدّبوهم". انظر تفسير الطبري، جامع البيان تحقيق شاكر (٢٣/٤٩١).

وترك تربية الأطفال وتأديبهم يجعلهم يشبون مهملين، يجمعون شتات الألفاظ السيئة والأخلاق الرديئة، فيشبون على الفحش والبذاءة، التي تعرضهم لغضب الله وسخطه.

عن أبي الدرداء- رضي الله عنه- أن النبي- صلى الله عليه وسلم- قَالَ: «مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلُ فِي ميزَانِ العبد المُؤْمِنِ يَوْمَ القيَامَةِ مِنْ حُسْنِ الخُلُق، وَإِنَّ اللَّهَ يُبْغِضُ الفَاحِشَ البَذِيءَ» رواه الترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

«البَذِيء»: هُوَ الَّذِي يتكلَّمُ بالفُحْشِ ورديء الكلام. وفي هذا الحديث: فضيلة حسن الخلق، لأنه يورث لصاحبه محبة الله، ومحبة عباده. وفيه: قبح الفحش والبذاءة، لأنه يورث البغض من الله وعباده.

وعن أبي هريرة- رضي الله عنه- قَالَ: سُئلَ رسولُ اللهِ- صلى الله عليه وسلم- عَنْ أكثرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الجَنَّةَ؟ قَالَ: «تَقْوَى اللهِ وَحُسْنُ الخُلُق»، وَسُئلَ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ النَّارَ، فَقَالَ: «الفَمُ وَالفَرْجُ». رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح.

التقوى تصلح ما بين العبد وبين ربه، وحسن الخلق يصلح ما بينه وبين خلقه. تطريز رياض الصالحين (ص: ٤١٠) لفيصل بن عبد العزيز بن فيصل ابن حمد المبارك الحريملي النجدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ).

وقال ابن عثيمين رحمه الله: وأما الإثم فقال فيه النبي صلى الله عليه وسلم هو: (ما حاك في نفسك

وكرهت أن يطلع عليه الناس) يعني بما حاك في النفس، يعني لم تطمئن إليه النفس، بل ترددت فيه، وكرهت أن يطلع عليه الناس.

ولكن هذا خطاب للمؤمن، أما الفاسق فإن الإثم لا يحيك في صدره، ولا يهمه أن يطلع عليه الناس؛ بل يجاهر به ولا يبالي، لكن المؤمن لكون الله سبحانه وتعالى قد أعطاه نورا في قلبه، إذا هم بالإثم حاك في صدره، وتردد فيه، وكره أن يطلع عليه الناس، فهذا الميزان إنما هو في حق المؤمنين.

أما الفاسقون فإنهم لا يهمهم أن يطلع الناس على آثامهم، ولا تحيك الآثام في صدورهم؛ بل يفعلونها والعياذ بالله بانطلاق وانشراح؛ لأن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ ﴾ (فاطر: ٨). شرح رياض الصالحين (٣/٥٦٥).

ومن الخلل في التربية أن تقال أمام الطفل الألفاظ الخارجة عن الحياء كالشتم والسب، أو أن يُترك الطفل ليلتقط الألفاظ الشاذة والقبيحة والخارجة عن الحياء والأدب، والتي تجري في الغالب على ألسنة الكبار من أهل الفحش، فإذا رآه أهله يتفوه بما يعرفه الكبار ويجري على قبيح ألسنتهم، ضحكوا له ولم ينهه أحد، وقصارى أمرهم التعليق بأنه قال كلامًا أكبر من سنه، بل ربما أعجبوا به واعتبروا أن ذلك نباهة وذكاء.

من أين جاء الخلل؟

الكلمات البذيئة يستطيع الطفل أن يتعرف عليها ويلتقطها ويرددها منذ اللحظة التي يبدأ الطفل فيها الكلام، وغالبًا ما يضحك الأهل عندما يقولها وتكون مقبولة إلى حد ما.

وعندما يبلغ الطفل سنًا أكبر بحيث يستطيع الكلام بطلاقة، ويكون هذا عادة من سن الثالثة، ثم يبدأ في الاختلاط بالمجتمع من حوله، فيسمع من أقرانه ومن زملائه في الحضانة أو غيرها، ومن الكبار في المجالس والطرقات والشوارع، فيبدأ بتخزين ذلك في ذاكرته، فإذا جاءت المناسبة فوجئ أهله به ينطق بالكلمة لأول مرة أمامهم، وهي كلمة أكبر من سنه بالطبع، فيكون رد فعلهم مزيجًا من الدهشة والتعجب بل والإعجاب في أحيان كثيرة، فإذا لم يصاحب هذا الموقف رد فعل تربوي وتأديبي وتوجيهي، تشجَّع الطفل أكثر ليكون سيء الأدب، مستعدًا لتكرارها وصارت له خلقًا ذميمًا. وربما كان هذا الخلق تهكمًا على الكبير، وسخرية من عباد الله، وعدم احترام له، وربما كان عصيانًا للأبوين وغير ذلك من ذميم الخصال في اللسان السليط.

وتمسك الطفل بالكلام النابي أو عزوفه عنه مرتبط برد فعل المحيطين به. فالطفل الذي يريد جذب انتباه أهله، يتعمد التفوه بالكلمات الوقحة عندما يلمس تفاعلهم الشديد في كل مرة يتفوه بها.

علاج هذه الظاهرة:

لن يكون المتبادر إلى الذهن هو العقاب الجسدي، فإن العقاب الجسدي عملية سريعة للحد من التصرف السلبي مؤقتًا، لكنها وحدها ليست الشافية الكافية المجدية، كما أنها لا تنفع في دفع الطفل إلى التخلص من الأخلاق السيئة، بالإضافة إلى مضاعفاته، ولذا يجب إيجاد أسلوب آخر يجدي في تقويم تلك التصرفات الرديئة.

ويمكن علاج هذا السلوك غير السليم من خلال الخطوات التالية:

١- إظهار الأبوين والمربين الامتعاض والغضب والرفض التام لهذا السلوك ولصاحبه، وذمه علنًا. والسلبية التي تلحق بهذه الطريقة إذا كان الأبوان لا يؤثر فيهما سماع مثل هذا الكلام، فعندها ليس أمام ابنهما إلا الضياع والفشل، والبقاء على سلاطة اللسان وسوء الأخلاق.

٢- التحلي بالصبر والهدوء في علاج هذه المشكلة، بمعنى عدم الانفعال والتسرع بالشتم أو الضرب، فإن ذلك يُسكت الطفل لحظيًا لكنه ما تعلم شيئًا، إنه خاف فقط فامتنع عما يقوله، لكنه إذا أمن سيعاود الكرَّة.

٣- تعويد الطفل على الاعتذار والأسف كلما تلفظ بكلمة غير مستحبة، ويكون هذا التعويد بحزم وثبات وجد واستمرار.

٤- التعود على استعمال مفردات إيجابية داخل المنزل وتعليم الطفل منذ البداية عبارات مثل (شكرًا، من فضلك إلخ...).

٥- وفي المقابل استبعاد الألفاظ الجارحة والخادشة للحياء، مثل ذكر ألفاظ العورات باللفظ القبيح، والسب بها والشتم. وكذلك عدم السكوت على سماع كلمة خارجة عن الأدب، بل لا بد من المنع والنهي.

٦- حرمان الطفل من مكافأة، أو من الخروج لرحلة، أو أي مكان يحب الذهاب إليه، أو من الألعاب التي يهواها، وإبعادها إلى غرفة أخرى لفترة قصيرة من الوقت عند تلفظه بكلام بذيء.

نسأل الله تعالى أن يحفظ أولادنا، وأن ينبتهم نباتًا حسنًا، وأن يرزقنا حُسن تربيتهم، ويدخلنا الجنة بهم.

والحمد لله رب العالمين.



تحذير الداعية
من القصص الواهية
الحلقة (٢٠٤)

قصة سبب ذهاب بصر يعقوب عليه السلام

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم حتى يقف على حقيقة هذه القصة التي اشتهرت، وانتشرت على ألسنة القصاص والوعاظ، خاصة في كتب التفاسير عند تفسير الآية (٨٦) من سورة يوسف، ومما ساعد على انتشارها وجودها في كُتب السنة الأصلية، وإلى القارئ الكريم التخريج والتحقيق:

إعداد/ علي حشيش

أولا: المتن:

رُوِيَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِك، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَآلِه وَسَلَّمَ: " كَانَ لِيَعْقُوبَ عَلَيْه السَّلَامُ أَخٌ مُؤَاخِي، فَقَالَ لَهُ ذَاتَ يَوْمٍ: يَا يَعْقُوبُ، مَا الَّذِي أَذْهَبَ بَصَرَكَ؟ مَا الَّذِي قَوَّسَ ظَهْرَكَ، فَقَالَ: أَمَّا الَّذِي أَذْهَبَ بَصَرِي فَالْبُكَاءُ عَلَى يُوسُفَ، وَأَمَّا الَّذِي قَوَّسَ ظَهْرِي فَالْحُزْنُ عَلَى ابْنِي بِنْيَامِينَ، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْه السَّلَامُ، فَقَالَ: يَا يَعْقُوبُ، إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُقْرِئُكَ السَّلَامَ، وَيَقُولُ لَكَ: أَمَا تَسْتَحِي أَنْ تَشْكُونِي إِلَى غَيْرِي؟ فَقَالَ يَعْقُوبُ: إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّه، فَقَالَ جِبْرِيلُ: اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَشْكُو يَا يَعْقُوبُ، ثُمَّ قَالَ يَعْقُوبُ عَلَيْه السَّلَامُ: أَيْ رَبِّ، أَمَا تَرْحَمُ الشَّيْخَ الْكَبِيرَ، أَذْهَبْتَ بَصَرِي، وَقَوَّسْتَ ظَهْرِي، فَارْدُدْ عَلَيَّ رَيْحَانَتِي يُوسُفَ أَشُمُّهُ شَمَّةً قَبْلَ الْمَوْت، ثُمَّ اصْنَعْ بِي يَا رَبِّ مَا شِئْتَ، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْه السَّلَامُ، فَقَالَ: يَا يَعْقُوبُ، إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ، وَيَقُولُ لَكَ: أَبْشِرْ، وَلْيَفْرَحْ قَلْبُكَ، فَوَعِزَّتِي وَجَلَالِي لَوْ كَانَا مَيِّتَيْنِ لَنَشَرْتُهُمَا لَكَ، فَاصْنَعْ طَعَامًا لِلْمَسَاكِينِ، فَإِنَّ أَحَبَّ عِبَادِي إِلَيَّ الْمَسَاكِينُ، وَتَدْرِي لِمَ أَذْهَبْتُ بَصَرَكَ، وَقَوَّسْتُ ظَهْرَكَ، وَصَنَعَ إِخْوَةُ يُوسُفَ بِيُوسُفَ مَا صَنَعُوا، لِأَنَّكُمْ ذَبَحْتُمْ شَاةً، فَأَتَاكُمْ فُلَانٌ الْمِسْكِينُ وَهُوَ صَائِمٌ فَلَمْ تُطْعِمُوهُ مِنْهَا، وَكَانَ يَعْقُوبُ بَعْدَ ذَلِكَ إِذَا أَرَادَ الْغِذَاءَ أَمَرَ مُنَادِيًا، فَنَادَى أَلَا مَنْ كَانَ صَائِمًا مِنَ الْمَسَاكِينِ فَلْيُفْطِرْ مَعَ يَعْقُوبَ ".

ثانيا: التخريج:

أخرج هذا الخبر الذي جاءت به هذه القصة الحافظ الطبراني في المعجم الأوسط (٦١/٧- ط. المعارف بالرياض) (ح٦١٠٥) حدثنا محمد بن أحمد الباهلي البصري، قال: ثنا وهب بن بقية الواسطي قال: نا يحيى بن عبد الملك بن أبي غنية، عن حصين بن عمر، عن أبي الزبير.

وأخرجه أيضًا بهذا الطريق الطبراني في المعجم الصغير (٣٣/٢).

ثالثا: التحقيق:

هذا الحديث غريب كما بيَّن ذلك الإمام الحافظ الطبراني، حيث قال عقب إخراجه لهذا الحديث: لا يروى هذا الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم

إلا بهذا الإسناد، تفرَّد به وهب بن بقية. اهـ.

وعلته محمد بن أحمد الباهلي البصري.

١- أورده الحافظ الذهبي في الميزان (٧١٣٥/٤٥٥/٣) وقال: محمد بن أحمد بن سهيل الباهلي عن وهب بن بقية وغيره.

قال ابن عدي: هو أبو الحسن المؤدب، أصله واسطي كتبت عنه، وهو ممن يضع الحديث.

٢- وأورده الإمام الحافظ ابن عدي في «الكامل» (١٧٩٢/٣٠٣/٦- ط. دار الفكر)، قال: محمد بن أحمد بن سهيل بن علي بن مهران أبو الحسن الباهلي المؤدب، ثم قال: وهو ممن يضع الحديث متنًا وإسنادًا، وهو يسرق حديث الضعاف يلزقها على قوم ثقات.

وعلة أخرى: حصين بن عمر:

أ- أورده الإمام الذهبي في الميزان (٢٠٨٧/٥٥٣/١) وقال: حصين بن عمر الأحمسي، عن إسماعيل بن أبي خالد، وأبي الزبير، قال البخاري: منكر الحديث، ضعَّفه أحمد.

قال ابن معين: ليس بشيء.

وقال أبو حاتم: واهٍ جدًا، واتهمه بعضهم.

وقال ابن عدي: عامة أحاديثه معاضيل ينفرد عن كل من روى عنه.

٢- وقال البخاري في الضعفاء الصغير (ت٨٢): حصين بن عمر وأبو عمر الأحمسي كوفي منكر الحديث.

٣- وقال البخاري في التاريخ الكبير (١٠/٣): حصين بن عمر أبو عمر الأحمسي عن مخارق وإسماعيل بن أبي خالد كوفي، منكر الحديث، ضعَّفه أحمد.

وهذا مصطلح من الإمام البخاري له معناه حيث قال الشيخ أحمد محمد شاكر، محدث وادي النيل، في شرح اختصار علوم الحديث (ص٨٩): "وكذلك قوله منكر الحديث فهو بمعنى لا تحل الرواية عنه".

ففي الميزان للذهبي (٥/١) نقل ابن القطان أن البخاري قال: "كل من قلت فيه: منكر الحديث لا تحل الرواية عنه".

٤- وقال الحافظ ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (١٩٤/٣) قال: سمعت أبي يقول: حصين بن عمر الأحمسي واهي الحديث جدًا، لا أعلم يروي حديثًا يُتابع عليه، وهو متروك الحديث.

قال البخاري: كل من قلت فيه: منكر الحديث لا تحل الرواية عنه".

ثم قال ابن أبي حاتم: سُئل أبو زرعة عن حصين بن عمران الأحمسي فقال: منكر الحديث.

ثم قال ابن أبي حاتم: سمعت أبي يقول: قال لي يزيد بن أيوب: نهاني أحمد بن حنبل أن أحدث عن حصين بن عمر، قال: إنه كان يكذب. اهـ.

قلتُ: بهذا التحقيق يتبين أن هذا الخبر الذي جاءت به هذه القصة خبر باطل، حيث تبين أن فيه من يضع الحديث متنًا إسنادًا، ويسرق أحاديث الضعاف ويلزقها على قوم ثقات، بل وفيه أيضًا من هو واهي الحديث جدًا ليس بشيء منكر الحديث، وكان يكذب.

ولذلك قال الإمام أبو حاتم: لا أعلم يروي حصين بن عمر الأحمسي حديثًا يُتابع عليه. اهـ.

قُلْتُ: وبهذا ينطبق عليه قول الإمام الطبراني تمام الانطباق الذي أوردناه آنفًا: لا يروى هذا الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم إلا بهذا الإسناد.

وبهذا القول من الأئمة يصبح هذا الحديث غريبًا، وقد بيَّن الإمام السيوطي في تدريب الراوي (١٨٢/٢) الأثر السيئ لهذه الغرائب فينقل عن الإمام أحمد: "لا تكتبوا هذه الأحاديث الغرائب فإنها مناكير وعامتها عن الضعفاء".

وقال الإمام مالك: "شر العلم الغريب".

وروى ابن عدي عن أبي يوسف قال: "من طلب الدين بالكلام تزندق، ومن طلب غريب الحديث كذَب".

رابعًا: طرق أخرى للحديث

وحتى لا يتقول علينا من لا دراية لها بالصناعة الحديثية أن هناك طرقًا أخرى لهذه القصة؛ فقد أخرج الحافظ البيهقي في الشعب (٢٢/٦) (ح٣١٣١) هذه القصة فقال: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، حدثنا محمد بن صالح بن هانئ، حدثنا العباس بن حمزة، حدثنا الحسين بن محمد بسامرة، حدثني يحيى بن عبد الملك بن أبي غنية.

وأخبرنا أبو عبد الله الحافظ، حدثنا أبو الوليد الفقيه، حدثنا خشنام بن بشر، حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا يحيى بن عبد الملك بن أبي غنية، عن حفص بن عمر بن الزبير، وفي رواية الحسين بن أبي الزبير عن أنس.

قُلْتُ: مما ذكرناه آنفًا أن الإمام الحافظ البيهقي أورد القصة من طريقين مدارهما على يحيى بن عبد الملك بن أبي غنية:

١- في رواية الحسين عن يحيى بن عبد الملك عن حفص بن عمر بن أبي الزبير عن أنس.

وهذا طريق تالف علته حفص بن عمر بن أبي الزبير.

قال ابن الجوزي في الضعفاء والمتروكين (٢٢٤/١) (ت٩٤٣): حفص بن عمر بن أبي الزبير يروي عن أنس.

> روى ابن عدي عن أبي يوسف قال: "من طلب الدين بالكلام تزندق، ومن طلب غريب الحديث كذب".

قال الأزدي: منكر الحديث ضعيف مجهول.

وأقر ذلك الحافظ الذهبي فقال في الميزان (٥٦٦/١) (ت٢١٥٦): حفص بن عمر بن أبي الزبير، ضعفه الأزدي، فلعله عن أبي الزبير أو كأنه حفص بن عمر بن كيسان عن أبي يزيد عن ابن الزبير، لا عن أبي الزبير، ولا يعرف من ذا.

قُلْتُ: ومن قول الإمام الذهبي فلعله عن أبي الزبير، حيث صُحِّف حفص بن عمر عن أبي الزبير. إلى حفص بن عمر بن أبي الزبير. أي صُحِّف: «عن» إلى: «بن».

وبهذا يتبين من قول الإمام الذهبي أن سند هذا الطريق صُحِّف من يحيى بن عبد الملك بن أبي غنية، عن حفص بن عمر، عن أبي الزبير، عن أنس مرفوعًا.

إلى يحيى بن عبد الملك بن أبي غنية، عن حفص بن عمر بن أبي الزبير، عن أنس مرفوعًا.

وبهذا يتبين أن مدار هذه القصة على يحيى بن عبد الملك بن أبي غنية، ولكن

حدث تصحيف في السند، فأصبح في السند مَن لا يعرف، كما بيّن ذلك الإمام الذهبي آنفًا.

وبمقارنة هذه الأسانيد المصحَّفة، والتي مدارها على يحيى بن عبد الملك بن أبي غنية بما أوردناه آنفًا في رواية الإمام الحافظ الطبراني، والتي جاءت أيضًا من طريق يحيى بن عبد الملك بن أبي غنية عن حفص بن عمر، عن أبي الزبير، عن أنس بن مالك مرفوعًا.

يتبين أن حصين بن عمر عن أبي الزبير صُحِّف إلى حفص بن عمر بن أبي الزبير.

وقد بينا أن هذا الطريق تالف بحصين الكذاب الوضاع، أما الرواية الأخرى التي رواها الإمام البيهقي عن شيخه الحاكم فهي أيضًا فيها تصحيف، ومدارها أيضًا على عبد الملك بن أبي غنية حيث جاء السند عن عبد الملك بن أبي غنية عن حفص بن عمر بن الزبير، عن أنس بن مالك مرفوعًا، وهو ظاهر التصحيف كما بينا آنفًا.

حتى قال الحاكم: هكذا في سماع بخط يد حفص بن عمر بن الزبير، وأظن الزبير وهمًا من الراوي. اهـ.

ثم قال: وقد أخرج الإمام أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم الحنظلي: هذا الحديث في التفسير مرسلاً. اهـ.

قُلْتُ: وإسحاق بن إبراهيم الحنظلي هو الإمام ابن راهويه، وهذا وجه رابع من مدار القصة على يحيى بن عبد الملك، حيث رواه ابن راهويه مرسلاً؛ حيث أسقط حفص بن عمر بن أبي الزبير، أو ابن الزبير، وروى القصة عن يحيى بن عبد الملك بن أبي غنية، عن أنس مرفوعًا.

قُلْتُ: وبذلك يرجع سند هذه القصة الواهية إلى ما أخرجه الإمام الطبراني من طريق يحيى بن عبد الملك بن أبي غنية عن حفص بن عمر، عن أبي الزبير، وبهذا يتبين الأثر السيئ للتصحيف الذي به يصبح الراوي مجهولاً لا يُعرف كما بينا آنفًا من أقوال الأئمة.

"قال ابن المديني: الباب إذ لم تُجمع طرقه لم يتبين خطؤه".

وتصبح هذه القصة غريبة منكرة حيث أوردها الحافظ ابن كثير في تفسير الآية (٨٦) من سورة يوسف، وعزاها إلى الإمام ابن أبي حاتم من طريق يحيى بن عبد الملك بن أبي غنية، عن حفص بن عمر بن أبي الزبير، عن أنس بن مالك مرفوعًا.

وقال: هذا حديث غريب فيه نكارة. اهـ.

قُلْتُ: وبجمع طرق هذا الخبر يتبين أن القصة واهية جدًّا، ويتبين أيضًا الأخطاء الناتجة عن التصحيف والتي جعلت الرواة مجاهيل لا يُعرفون، ولذلك قال الإمام السيوطي في تدريب الراوي (٢٥٣/١): "قال ابن المديني: الباب إذ لم تُجمع طرقه لم يتبين خطؤه".

هذا ما وفقني الله إليه،

وهو وحده من وراء القصد

قرائن اللغة والنقل والعقل على حمل صفات الله (الخبرية) و(الفعلية) على ظاهرها دون المجاز

استواء الخالق جل وعلا على الوجه اللائق به.. بين إثبات أهل السنة وتعطيل الأشاعرة

الحلقة (٣٥)

إعداد/ د. محمد عبد العليم الدسوقي
الأستاذ بجامعة الأزهر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.. وبعد:

فإزاء الحملة المسعورة على أزهرنا المعمور وتدخل كل من هبَّ ودبَّ، وحتى لا تختلط الأوراق، نقول للجميع: لنتق الله؛ فإما أن نقول خيرًا فنساهم في وضع لبنة في إصلاحه وإعانته على أداء دوره المنوط به على أتم وجه، أو لنصمت ولا نكون معول هدم في نقض صرحه الشامخ..

وبالرجوع إلى موضوعنا نقول: إنه لحريٌّ ونحن بصدد الكلام عن صفة الاستواء لله، أن نبدأ- شأن أولي البصائر والفطر السليمة والمستفيدين من تجارب الآخرين- من حيث انتهى الآخرون من علماء وأئمة سلفنا ممن نشؤوا أو رجعوا إلى طريق أهل السنة والجماعة، لا من حيث بدؤوا، ونتخير من تلك النماذج:

أ- أئمة الخلف يعطون أشاعرة الزمان درساً في الرجوع إلى الحق وعدم التمادي في الباطل:

١- الإمام الجويني (ت٤٣٨هـ): ففي رسالته (في إثبات الاستواء والفوقية) أو (النصيحة في صفات الرب جل وعلا)، يسوق رحمه الله تجربته التي مر بها وقد كان قبل متحيرًا بين المتأولين والمفوضين والمثبتين، ما يعني أن تجربته التي مر بها جديرة بالنظر والاعتبار كونها تحكي واقع أي أشعري في زماننا يبغي الوصول إلى الحق، يقول الجويني حاكيًا عن تجربته وما آل إليه أمره: «كنت متحيرًا في الأقوال المختلفة الموجودة في كتب أهل العصر من تأويل الصفات وتحريفها، أو إمرارها والوقوف فيها، أو إثباتها بلا تأويل ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تمثيل، فأجد النصوص في كتاب الله وسنة رسوله ناطقة منبئة بحقائق هذه الصفات.. ثم أجد المتأخرين من المتكلمين في كتبهم، منهم من يؤول (الاستواء): بـ (القهر والاستيلاء)، ويؤول (النزول): بـ (نزول الأمر)، وأمثال ذلك».

يقول: «وممن ذهب إلى هذه الأقوال أو بعضها: قوم لهم في صدري منزلة.. ثم إنني أجد من هذه التأويلات حزازات لا يطمئن قلبي إليها، وأجد الكدر والظلمة منها وأجد ضيق الصدر وعدم انشراحه مقرونًا بها، فكنت كالمتحير المضطرب في تحيره، وكنت أخاف من إطلاق القول بإثبات العلو والاستواء والنزول مخافة الحصر والتشبيه، ومع ذلك فإذا طالعت النصوص الواردة في كتاب الله وسنة رسوله أجدها نصوصًا تشير إلى حقائق هذه المعاني وأجد الرسول قد صرح بها مخبرًا عن ربه واصفًا له بها وأعلم بالاضطرار أنه كان يحضر في مجلسه الشريف والعالم والجاهل والذكي والبليد والأعرابي والجافي، ثم لا أجد شيئًا يَعْقُب تلك النصوص لا نصًا ولا ظاهرًا مما يصرفها عن حقائقها ويؤولها كما تأولها هؤلاء المتكلمون مثل تأويلهم الاستواء بالاستيلاء، ولم أجد عنه عليه السلام أنه كان يُحذِّر الناس من الإيمان بما يظهر من كلامه في صفته لربه من الفوقية واليدين وغيرها، ولم يُنقل عنه مقالة تدل على أن لهذه الصفات معانٍ أخر باطنة غير ما يظهر من مدلولها، وأجد الله يقول: (ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ) طـه/٥)، (خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ) يونس/٣)، وفي حديث جبير بن مطعم:

(إن الله فوق عرشه فوق سماواته وسماواته فوق أرضه مثل القبة، وأشار النبي بيده مثل القبة)».

إلى أن قال بعد أن ساق ما ساق من الأدلة: «والذي شرح الله به صدري في حال هؤلاء الشيوخ الذين أولوا.. هو: علمي بأنهم ما فهموا في صفات الرب إلا ما يليق بالمخلوقين، فما فهموا عن الله استواءً يليق به، ولا نزولاً يليق به، ولا يدين تليق بعظمته بلا تكييف ولا تشبيه، فلذلك حرفوا الكلم عن مواضعه، وعطلوا ما وصف الله نفسه به».

وأردف يقول: «لا ريب أنا نحن وإياهم، متفقون على إثبات صفات: (الحياة والسمع والبصر والعلم والقدرة والإرادة والكلام لله تعالى)، ونحن قطعاً لا نعقل من (الحياة) إلا هذا العَرَض الذي يقوم بأجسامنا، وكذلك لا نعقل من (السمع والبصر) إلا أعراضاً تقوم بجوارحنا، فكما أنهم يقولون: (حياته ليست بعرَض، وعلمه كذلك، وبصره كذلك، وإنما هي صفات كما تليق به، لا كما تليق بنا)، فكذلك نقول نحن: (حياته معلومة وليست مكيفة، وعلمه معلوم وليس مكيفاً، وكذلك سمعه وبصره معلومان ليس جميع ذلك أعراضاً، بل هو كما يليق به، ومثل ذلك بعينه فوقيته واستواؤه ونزوله، ففوقيته معلومة ثابتة كثبوت حقيقة السمع وحقيقة البصر، فإنهما معلومان ولا يُكيَّفان، كذلك فوقيته معلومة ثابتة غير مكيفة كما يليق به، واستواؤه على عرشه معلوم غير مكيف بحركة أو انتقال يليق بالمخلوق، بل كما يليق بعظمته)».

يقول: «وجلالة صفاته تعالى معلومة من حيث الجملة والثبوت، غير معقولة له من حيث التكييف والتحديد، فيكون المؤمن بها مبصرًا من وجه، أعمى من وجه.. مبصرًا من حيث الإثبات والوجود، أعمى من حيث التكييف والتحديد، وبهذا يحصل الجمع بين الإثبات لما وصف الله نفسه به، وبين نفي التحريف والتشبيه والوقوف، وذلك هو مراد الله منا في إبراز صفاته لنا لنعرفه بها، ونؤمن بحقائقها وننفي عنها التشبيه، ولا نعطلها بالتحريف والتأويل، لا فرق بين (الاستواء والسمع)، ولا بين (النزول والبصر)، الكل ورد في النص.

فإن قالوا لنا في الاستواء: (شبَّهتم)، نقول لهم: (في السمع شبهتم، ووصفتم ربكم بالعَرَض!)، فإن قالوا: (لا عَرَض بل كما يليق به)، قلنا: (في الاستواء والفوقية لا حصر، بل كما يليق به)، فجميع ما يُلزمونا به في (الاستواء والنزول واليد والوجه والقدم والضحك والتعجب) من التشبيه، نلزمهم به في (الحياة والسمع والبصر والعلم)، فكما لا يجعلونها هم أعراضاً، كذلك نحن لا نجعلها جوارح ولا مما يوصف به المخلوق؛ وليس من الإنصاف أن يفهموا في (الاستواء والنزول والوجه واليد) صفات المخلوقين، فيحتاجوا إلى التأويل والتحريف، فإن فهموا في هذه الصفات ذلك، فيلزمهم أن يفهموا في الصفات السبع صفات المخلوقين من الأعراض!!، فما يُلزمونا به في تلك الصفات من التشبيه والجسمية، نُلزمهم في هذه الصفات في العَرَضية، وما ينزهون ربهم به في الصفات السبع وينفون عنه عوارض الجسم فيها، فكذلك نحن نعمل في تلك الصفات التي ينسبونا فيها إلى التشبيه سواء بسواء».

وعقَّب يقول: «ومن أنصف، عرف ما قلناه واعتقده وقبل نصيحتنا، ودان لله بإثبات جميع صفاته هذه وتلك، ونفى عن جميعها التشبيه والتعطيل والتأويل، وهذا مراد الله منا في ذلك، لأن هذه الصفات وتلك جاءت في موضع واحد وهو الكتاب والسنة، فإذا أثبتنا تلك بلا تأويل، وحرفنا هذه وأولناها، كان كمن آمن ببعض الكتاب وكفر ببعض، وفي هذا بلاغ وكفاية». اهـ باختصار من (مجموعة الرسائل المنيرية) ١٧٦/١- ١٨٣ مجلد١ أو (النصيحة) ص٤٠: ٤٣، وينظر (مختصر العلو) ص٢٧: ٣١، ٧٥: ٧٨، ٢٧٧.

٢- فإذا ما انتقلنا من تجربة الجويني التي بها تقام الحجة البالغة لمن أراد لنفسه طريق النجاة والهدى والرشاد، إلى تجربة الإمام أبي حامد الغزالي (ت٥٠٥)، نجدها هي الأخرى؛ مما اختصرت على أمة محمد الطريق وهدتها إلى سواء السبيل، والمهم أن نأخذ العبرة وتكون لدى أشاعرة أزهرنا ومعاهد تعليم أولادنا جرأةُ الرجوع إلى الحق بدلاً من التمادي في الباطل.. فقد كان رحمه الله يجنح قبل تراجعه إلى أن (الاستواء) بمعنى (الاستيلاء) ويدافع عن ذلك دفاعاً شديداً، فيقول في (الاقتصاد) ص٤٠: «يصلح الاستيلاء على العرش لأن يُمتدح به، ويُنَبَّه به على غيره الذي هو دونه في العظم، فهذا مما لا يحيله العقل ويصلح له اللفظ، فأخلق بأن يكون هو المراد

قطعاً»، ويخلص من هذا إلى أنه «من المستحسن في اللغة أن يقال: (استوى الأمير على مملكته)، حتى قال الشاعر»، وراح يستشهد ببيت الأخطل الآتي ذكره.

لكنه بفضل الله كان من أبرز المتراجعين عن كل ذلك، وأضحى من أشهر المنتقدين لعلم الكلام وأهله بعد أن كان واحدًا من أئمتهم، فقد ذمه في آخر أيامه واعتبره تعطيلاً وبدعة مخالفة لنهج أهل السنة، وممن نص على تراجعه الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية١٢/١٧٤، والإمام القاضي ابن أبي العز، قال في شرحه على الطحاوية ص١٤٧: «وكذلك الغزالي، انتهى آخر أمره إلى الوقف والحيرة في المسائل الكلامية، ثم أعرض عن تلك الطرق وأقبل على أحاديث الرسول فمات والبخاري على صدره».

بل إن الغزالي لم يكتف بذم الكلام وأهله حتى جعل يبدع طريقتهم في ذكر السلوب ويؤصل لما رجع إليه، فكان أن ألف في أواخر حياته؛ رسالة بعنوان: (فيصل التفرقة بين الإيمان والزندقة) قال فيها ما نصه: «وإذا تركنا المداهنة، صرحنا بأن الخوض في هذا العلم حرام لكثرة الآفة فيه»، ووصف أدلته بأنها لا تفيد اليقين.. وكتاب: (إلجام العوام عن علم الكلام) الذي تابع فيه شيخه أبا المعالي ابن الإمام الجويني، وعالج مسألة التشبيه قائلاً في ص٧٣: إن «جميع الألفاظ الموهمة في الأخبار، يكفي في دفع إيهامها قرينة واحدة، وهي: معرفة الله وأنه ليس بجسم، وليس من جنس الأجسام، وهذا مما افتتح رسول الله بيانه في أول بعثته قبل النطق بهذه الألفاظ».

ومما قاله ص٧٦: «إن علاج وهم التشبيه أسهل من علاج التعطيل، إذ يكفي أن يقال مع هذه الظواهر: ليس كمثله شيء».. وعمن سأل عن الاستواء، قال: «الجواب ما قاله مالك، إذ قال: الاستواء معلوم»، وعمن سأل عن الفوق واليد والأصبع، «أن يقال: الحق فيه ما قاله الرسول وقال الله تعالى، وقد صدق حين قال: (ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ) طـه/٥)، فيُعلم قطعاً أنه ما أراد الجلوس والاستقرار الذي هو صفة الأجسام»، «ومات الغزالي على خير أحواله، مات على الصحيحين، طالباً علم الحديث، فتحول من الكلام إلى السنة من مصادرها الصحيحة» على حد قول من ترجموا له، وسنأتي لاحقاً بالمزيد من نصوص كلامه.

٣- أما ثالث هذه النماذج المضيئة - فيما نبغي الوصول من خلالها إلى حتمية الاستفادة من تجارب الأئمة السابقين في انتهاج طريق السلف وبطلان تأويلات الأشاعرة وعلى رأسها تأويل (الاستواء) بـ (الاستيلاء) - فيكمن في الفخر الرازي المنظر لمذهب الأشاعرة ت٦٠٦، فقد قال في نهايات حياته، معلناً في صراحة ووضوح أوبته عما كان عليه من معتقد الأشاعرة إلى معتقد أهل السنة والجماعة:

«لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية، فما رأيتها تشفي عليلاً ولا تروي غليلاً، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن، أقرأ في الإثبات: (ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ) طـه/٥)، (إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ) فاطر/١٠)، وأقرأ في النفي: (لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ) الشورى/١١)، (وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا) طـه/١١٠).. ثم قال: (ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي)»، كذا في جميع الكتب التي ترجمت للرازي دون ما استثناء.. والعبارة ذاتها ذكرها المرتضى الزبيدي في (إتحاف السادة المتقين)١/١٧٥ ثم أتبعها بما نقله عن بعضهم من قول الرازي: «(أفنيت عمري في الكلام أطلب الدليل، فإذا أنا لا أزداد إلا بُعْدًا عنه، فرجعت إلى القرآن أتدبره وأتفكر فيه، وإذا أنا بالدليل حقًا معي وأنا لا أشعر به، فقلت: والله ما مَثلي إلا كما قال القائل:

ومن العجائب والعجائب جمة
قرب الحبيب وما إليه وصول
كالعيس في البيداء يقتلها الظما
والماء فوق ظهورها محمول

والمقصود أن القرآن مملوء بالاحتجاج، وفيه جميع أنواع الأدلة والأقيسة الصحيحة.. ومناظراته عليه السلام وأصحابه لخصومهم، لا ينكرها إلا جاهل مفرط في الجهل»أ.هـ

وكنا قد ذكرنا في الحلقتين (٢٧، ٢٨) تفاصيل رجوعه ووصيته التي فيها أبدي حسرته على تعاطي علم الكلام عندما كان أشعريًا، وشهادات المحققين من أهل العلم بوقوف الرازي على صحيح الاعتقاد وحقيقة التوحيد، وبخاصة ما تعلق منه بتوحيد الأسماء والصفات.

على أن كلام الجويني والغزالي والرازي

هنا الذي مالوا إليه، هو المطابق لسليم الفطرة، الموافق لما عليه سائر الأئمة الذين نقلنا إجماعهم على الإثبات لمعان صفات الخالق الخبرية والفعلية، وذلك بمعرفة معاني ما جاء منها في الكتاب وصحيح السنة، دون ما تفويض ولا تكييف ولا تأويل ولا تشبيه.

وسيأتي - في بطلان تأويل (الاستواء) بـ (الاستيلاء) - المزيد من كلام أئمة العلم وعلى رأسهم أبو الحسن الأشعري، وذلك بعد أن نفرغ من سرد ما تيسر من أدلة القرآن والسنة على إثبات استوائه تعالى على عرشه.

ب- أدلة القرآن على إثبات استوائه تعالى على عرشه:

تشير أدلة القرآن بشكل واضح وصريح، إلى أن استواءه تعالى على عرشه هو على ظاهره وحقيقته، بحيث لا يقبل التحريف أو التكييف، أو التعطيل والتمثيل والتأويل، أو القول فيه بالمجاز، ومن ذلك قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا﴾ الأعراف/٥٤)، وقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾ يونس/٣)، وقوله: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ الرعد/٢)، وقوله: (الرحمن على العرش استوى) طه/٥).

وقوله: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ الفرقان/٥٩)، وقوله: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ السجدة/٤)، وقوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ الحديد/٤).

فهذه المواضع بسياقاتها المتعددة والمتنوعة والتي تكررت فيها لفظة (الاستواء) سبعة مرات متعدية بحرف الجر (على)، ومثلها ما تعدّت فيه بـ (إلى) -وهما موضعا سورتي البقرة/٢٩، والدخان/١١- لا يصلح لغة وشرعاً إلا أن تكون بمعنى (العلو والارتفاع).. أما من قال من متأوّلي الأشاعرة بقول المعتزلة والجهمية والحرورية من أنها في تلك المواضع بمعنى (استولى) -معتقداً ذلك أو ناقلاً عمن جنح إلى اعتقاده- أو جعلها بمعنى: (الغلبة) أو (القهر) أو (التسخير والوقوع في قبضة القدرة).. إلى آخر ذلك، فإنه يرد عليه ما يلي:

ج- قرائن اللغة على ألسنة أئمتها تحيل حمل الاستواء في الآيات على معنى الاستيلاء:

١- أن لفظ (الاستواء) في كلام العرب الذين خاطبنا القرآن بلغتهم، وأنزل بها كلامه نوعان: مطلق: وهو ما لم يُوَصَّل معناه بحرف، مثل قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ﴾ القصص/١٤)، وهذا معناه (كمل وتم) يقال: (استوى النبات واستوى الطعام).. ومقيد: وهو ثلاثة أضرب: مقيد بـ (إلى)، أو بـ (على)، وهذا لا يكون إلا بمعنى (العلو والارتفاع) بإجماع السلف وأئمة اللغة، يقال: (استوى فلان إلى السطح وإلى الغرفة وعليهما) إذا علاهما، والثالث: المقرون بواو (مع) التي تُعدّي الفعل إلى المفعول معه نحو: (استوى الماء والخشبة) بمعنى ساواهما، هذه معاني الاستواء المعقولة في كلامهم، ليس فيها معنى (استولى) ألبتة، ولا نقله أحد من أئمة اللغة الذين يعتمد قولهم، وإنما قاله متأخرو النحاة ممن سلك طريق المعتزلة والجهمية.

٢- أن الذين قالوا: إنها بمعنى (استولى)، لم يقولوه نقلاً، وإنما قالوه استنباطاً وحملاً منهم للفظة (استوى) على (استولى)، واستدلوا بقول الشاعر:

قد استوى بشر على العراق
من غير سيف أو دم مهراق

وهذا من أعجب العجب، كون القائلين به قد فسروا القرآن بأهوائهم وطوعوه لما يوافق مذاهب الضلال، يقول الشيخ حافظ ابن حكمي في معارج القبول١/٢٩١ مستنكرًا على أولئك الذين تأولوا الاستواء بالاستيلاء مستشهدين بالبيت، إنهم «عدلوا عن أكثر من ألف دليل من التنزيل إلى بيت ينسب إلى بعض العلوج ليس على دين الإسلام ولا على لغة العرب، فطفق أهل الأهواء يفسرون به كلام الله ويحملونه عليه، مع إنكار عامة أهل اللغة لذلك وأن الاستواء لا يكون بمعنى الاستيلاء بوجه من الوجوه البتة»، مبديًا بذلك استياءه ممن قدموا هذا البيت المروي على خلاف وجهه وغير المعروف في شيء من دواوين العرب وأشعارهم التي يُرجع إليها، على الأدلة المستفيضة من كتاب الله وسنة رسوله وآثار الصحابة وتابعيهم وهي تقدر بالعشرات إن لم يكن بالمئات..

وإلى لقاء آخر لنتابع الحديث عن قرائن اللغة في بطلان تأويل (استوى) بـ (استولى)..

والحمد لله رب العالمين.



باب العقيدة

الكفر والنفاق.. تعريفهما وأنواعهما

الحلقة العاشرة

إعداد/ د. صالح الفوزان

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد: تواصل الحديث عن مباحث في العقيدة، وفي هذا العدد نتناول تعريف الكفر والنفاق وأنواعهما، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

أ- تعريف الكفر:

الكفر في اللغة: التغطية والستر، والكفر شرعًا: ضد الإيمان، فإنَّ الكُفرَ: عدم الإيمان بالله ورسله، سواءً كان معه تكذيب، أو لم يكن معه تكذيب، بل مجرد شك وريب أو إعراض أو حسد، أو كبر أو اتباع لبعض الأهواء الصادة عن اتباع الرسالة. وإن كان المكذب أعظم كفرًا، وكذلك الجاحدُ والمكذّب حسدًا؛ مع استيقان صدق الرسل.

ب- أنواعه:

الكفر نوعان: **النوع الأول:** كفر أكبر يخرج من الملة:

وهو خمسة أقسام:

القسم الأول: كُفرُ التَّكذيب، والدَّليلُ قوله تعالى: «وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ» (العنكبوت: ٦٨).

القسم الثاني: كفر الإباء والاستكبار مع التصديق، والدليل قوله تعالى: «وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ» (البقرة: ٣٤).

القسم الثالث: كفرُ الشكِّ، وهو كفر الظَّنّ، والدليل قوله تعالى: «وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا (٣٥) وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا (٣٦) قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا (٣٧) لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا» (الكهف: ٣٥-٣٨).

القسم الرابع: كفرُ الإعراض، والدليلُ قولُه تعالى: «وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنْذِرُوا مُعْرِضُونَ» (الأحقاف: ٣).

القسم الخامس: كفرُ النِّفاق، والدليلُ قوله تعالى: «ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ» (المنافقين: ٣).

النوع الثاني: كفرُ أصغرُ لا يُخرجُ من الملة:

وهو الكفرُ العملي، وهو الذنوب التي وردت تسميتها في الكتاب والسنة كُفرًا، وهي لا تصلُ إلى حدِّ الكفر الأكبر، مثل كفر النعمة المذكور في قوله تعالى: «وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ» (النحل: ١١٢).

ومثلُ قتال المسلم المذكور في قوله صلى الله عليه وسلم: (سباب المسلم فُسوقٌ، وقتالُه كفر) (رواه البخاري ومسلم).

وفي قوله صلى الله عليه وسلم: (لا تَرجعوا بعدي كُفَّارًا يضربُ بعضكم رقابَ بعض) (رواه الشيخان).

ومثل الحلف بغير الله، قال صلى الله عليه وسلم: (من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك) (رواه الترمذي وحسنه وصححه الحاكم).

فقد جعل الله مُرتكبَ الكبيرة مُؤمنًا، قال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى».

فلم يُخرج القاتلَ من الذين آمنوا، وجعله أخا

لولي القصاص فقال: « فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ » (البقرة: ١٧٨).

والمرادُ: أخوة الدين، بلا ريب.

وقال تعالى: « وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا » (الحجرات: ٩).

إلى قوله: « إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ » (الحجرات: ١٠). (انتهى من شرح الطحاوية باختصار).

وملخص الفروق بين الكفر الأكبر والكفر الأصغر:

١- أنَّ الكفر الأكبر يُخرجُ من الملة، ويحبط الأعمال، والكُفر الأصغر لا يخرج من الملة ولا يحبط الأعمال، لكن ينقصُها بحسبه، ويعرِّضُ صاحبَها للوعيد.

٢- أنَّ الكفرَ الأكبرَ يُخلد صاحبه في النار، والكفر الأصغر إذا دخل صاحبه النار، فإنه لا يخلد فيها؛ وقد يتوب الله على صاحبه، فلا يدخله النار أصلاً.

٣- أنَّ الكفرَ الأكبرَ يُبيح الدم والمال، والكفر الأصغر لا يُبيحُ الدم والمال.

٤- أن الكفر الأكبر يُوجب العداوة الخالصة بين صاحبه وبين المؤمنين، فلا يجوز للمؤمنين محبته وموالاته ولو كان أقرب قريب، وأما الكفر الأصغر فإنهُ لا يمنع الموالاة مطلقًا، بل صاحبه يُحَبُّ ويُوالى بقدر ما فيه من الإيمان، ويبغض ويُعادى بقدر ما فيه من العصيان.

تعريف النفاق:

أ- النفاق لغة: مصدر نافق، يُقال: نافق يُنافق نفاقًا ومنافقة، وهو مأخوذ من النافقاء: أحد مخارج اليربوع من جحره؛ فإنه إذا طلب من مخرج هرب إلى الآخر، وخرج منه، وقيل: هو من النفق وهو: السَّرُ الذي يستتر فيه.

وأما النفاق في الشرع فمعناه: إظهارُ الإسلام والخير، وإبطانُ الكفر والشر؛ سمي بذلك لأنه يدخل في الشرع من باب، ويخرج منه من باب آخر، وعلى ذلك نبه الله تعالى بقوله: « إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ » (التوبة: ٦٧). أي: الخارجون من الشرع.

وجعل الله المنافقين شرًا من الكافرين فقال: « إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ » (النساء: ١٤٥).



وقال تعالى: « إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ » (النساء: ١٤٢)، « يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ » (البقرة: ٩، ١٠).

ب- أنواع النفاق

النفاق نوعان: النوع الأول: النفاقُ الاعتقادي؛ وهو النفاق الأكبر الذي يُظهر صاحبه الإسلام، ويُبطن الكفر، وهذا النوع مخرج من الدين بالكلية، وصاحبه في الدرك الأسفل من النار، وقد وَصَفَ الله أهله بصفات الشر كلها: من الكفر وعدم الإيمان، والاستهزاء بالدين وأهله، والسخرية منهم، والميل بالكلية إلى أعداء الدين؛ لمشاركتهم لهم في عداوة الإسلام. وهؤلاء مَوجودون في كل زمان، ولاسيما عندما تظهر قوة الإسلام ولا يستطيعون مقاومته في الظاهر، فإنهم يظهرون الدخول فيه؛ لأجل الكيد له ولأهله في الباطن؛ ولأجل أن يعيشوا مع المسلمين ويأمنوا على دمائهم وأموالهم؛ فيظهر المنافق إيمانه بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر؛ وهو في الباطن منسلخ من ذلك كله مكذب به، لا يؤمن بالله، ولا يؤمن بأن الله تكلم بكلام أنزله على بشر جعله رسولاً للناس يهديهم بإذنه، وينذرهم بأسه ويخوفهم عقابه، وقد هتك الله أستار هؤلاء المنافقين، وكشف أسرارهم في القرآن الكريم، وجلَّى لعباده أمورهم؛ ليكونوا منها ومن أهلها على حذر. وذكَرَ طوائف العالم الثلاثة في أول البقرة: المؤمنين، والكفار، والمنافقين، فذكر في المؤمنين أربع آيات، وفي الكفار آيتين، وفي المنافقين ثلاث عشرة آية؛ لكثرتهم وعموم الابتلاء بهم، وشدة فتنتهم على الإسلام وأهله، فإن بلية الإسلام بهم شديدة جدًّا؛

لأنهم منسوبون إليه وإلى نصرته وموالاته، وهم أعداؤه في الحقيقة؛ يخرجون عداوته في كل قالب يظن الجاهل أنه علم وإصلاح، وهو غاية الجهل والإفساد.

وهذا النفاق ستة أنواع:

١- تكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم.
٢- تكذيبُ بعض ما جاءَ به الرسول صلى الله عليه وسلم.
٣- بُغضُ الرسول صلى الله عليه وسلم.
٤- بغضُ بعض ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم.
٥- المسرَّة بانخفاض دين الرسول صلى الله عليه وسلم.
٦- الكراهية لانتصار دين الرسول صلى الله عليه وسلم.

النوع الثاني: النفاق العملي: وهو عمل شيء من أعمال المنافقين؛ مع بقاء الإيمان في القلب، وهذا لا يُخرج من الملة، لكنه وسيلة إلى ذلك، وصاحبه يكونُ فيه إيمان ونفاق، وإذا كثر؛ صارَ بسببه منافقًا خالصًا، والدليل عليه قوله صلى الله عليه وسلم: (أربعٌ مَنْ كُنَّ فيه كانَ منافقًا خالصًا، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها؛ إذا أؤتمن خان، وإذا حدّث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر) (متفق عليه).

فمن اجتمعت فيه هذه الخصال الأربع، فقد اجتمع فيه الشر، وخلصت فيه نعوت المنافقين، ومَن كانت فيه واحدة منها صار فيه خصلة من النفاق، فإنه قد يجتمع في العبد خصال خير، وخصال شر، وخصال إيمان، وخصال كفر ونفاق، ويستحق من الثواب والعقاب بحسب ما قام به من موجبات ذلك.

ومنه: التكاسل عن الصلاة مع الجماعة في المسجد؛ فإنه من صفات المنافقين، فالنفاق شر، وخطير جدًا، وكان الصحابة يتخوفون من الوقوع فيه، قال ابن أبي مليكة: (أدركت ثلاثين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كُلُّهم يخاف النفاق على نفسه).

الفروق بين النفاق الأكبر والنفاق الأصغر

١- إن النفاقَ الأكبرَ يُخرجُ من الملَّة، والنفاقَ الأصغر لا يُخرجُ من الملَّة.

٢- إن النفاق الأكبر: اختلاف السر والعلانية في الاعتقاد، والنفاق الأصغر: اختلاف السر والعلانية في الأعمال دون الاعتقاد.

٣- إن النفاق الأكبر لا يصدر من مؤمن، وأما النفاق الأصغر فقد يصدر من المؤمن.

٤- إن النفاق الأكبر في الغالب لا يتوب صاحبه، ولو تاب فقد اختلف في قبول توبته عند الحاكم. بخلاف النفاق الأصغر؛ فإن صاحبه قد يتوب إلى الله، فيتوب الله عليه، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وكثيرًا ما تعرض للمؤمن شعبة من شعب النفاق، ثم يتوبُ الله عليه، وقد يرد على قلبه بعض ما يوجب النفاق، ويدفعه الله عنه، والمؤمن يبتلى بوساوس الشيطان، وبوساوس الكفر التي يضيق بها صدره، كما قال الصحابة: يا رسول الله، إن أحدنا ليجد في نفسه ما لئن يخرّ من السماء إلى الأرض، أحب إليه من أن يتكلم به، فقال: (ذلك صريح الإيمان) (رواه أحمد ومسلم). وفي رواية: ما يتعاظم أن يتكلم به، قال: (الحمدُ لله الذي ردَّ كيده إلى الوسوسة)، أي حصول هذا الوسواس، مع هذه الكراهة العظيمة، ودفعه عن القلب، هو من صريح الإيمان) انتهى.

وأما أهل النفاق الأكبر، فقال الله فيهم: «صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ» (البقرة: ١٨). أي: إلى الإسلام في الباطن، وقال تعالى فيهم: «أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ» (التوبة: ١٢٦).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وقد اختلف العلماءُ في قبول توبتهم في الظاهر؛ لكون ذلك لا يُعلم، إذ هم دائمًا يظهرون الإسلام».

وللحديث بقية إن شاء الله.

والحمد لله رب العالمين.



علم القراءات وأثره في العلوم الشرعية

الحلقة الرابعة

إعداد/ د. أسامة صابر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد: فقد أثر علم القراءات تأثيرًا كبيرًا في العلوم الشرعية، فكل قراءة متواترة بمثابة آية مستقلة تضيف معاني عظيمة ينتفع منها المفسر في تفسيره، ويستنبط منها الفقيه أحكامًا وأسسًا يبني عليها اجتهاده، ويستشهد بها النحوي في مباحثه اللغوية.

أثر القراءات في علم التفسير:

ينتهج المفسرون في تفسيرهم لكتاب الله أن يفسروه بالقرآن وبالسنة النبوية، وبأقوال الصحابة والتابعين، وبما يوافق اللغة العربية، وبالرأي الجائز. ولذا كانت القراءات من أهم مصادر تفسير القرآن؛ فكل قراءة تضيف لتفسير الآية معاني جديدة لا تناقض فيها؛ لأنها تنزيل من حكيم حميد، ومن كتب التفسير التي عُنيت بذكر القراءات واستنباط المعنى منها: تفسير ابن جرير الطبري، وابن عطية، والقرطبي، وأبي حيان، والألوسي، والرازي، وغيرهم.

ومن الأمثلة التي تبين أثر القراءات في إثراء المعاني القرآنية:

١. قوله تعالى: (وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا) (الزخرف: ١٩)، قرأ الكوفيون وأبو عمرو (عباد الرحمن)، وهذا يدل على أن الملائكة من خلق الله وهم عبيده؛ كما قال تعالى (بل عباد مكرمون)، ويرد على المشركين في زعمهم أن الملائكة بنات الله، تعالى الله عن قولهم علوًا عظيمًا، وقرأ الباقون (عند الرحمن)، وفي هذا بيان لشرفهم وفضلهم وعلو مكانتهم، كما قال تعالى: (ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته).

٢. قوله تعالى: (هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ) (يونس: ٢٢)، قرأ ابن عامر وأبو جعفر (ينشركم) من النشر، وهو البسط أي يبثكم ويفرقكم في البر والبحر كما قال تعالى (وبث فيها من كل دابة)، وقال تعالى: (فانتشروا في الأرض)، وقرأ الباقون (يسيركم) من التسيير وهو السير، وهو في البر المشي على الأقدام وركوب الدواب، وفي البحر ركوب ما علمهم صنعه من الفلك، كما قال تعالى (قل سيروا في الأرض) وقال (فامشوا في مناكبها).

٣. قوله تعالى (هُنَالِكَ تَبْلُوا كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ) (يونس: ٣٠)، قرأ حمزة والكسائي وخلف البزار (تتلوا) بتائين من التلاوة، وهي القراءة لكتاب الأعمال يوم القيامة كما قال تعالى: (فأولئك يقرءون كتابهم) أو المعنى تتبع كل نفس ما قدمت في الدنيا لذلك اليوم، وقرأ الباقون (تبلوا) بالباء أي تعاين وتطلع على جزاء عملها.

٤. قوله تعالى (وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا) (الكهف: ٥١) ومعناه ما كنت متخذ المضلين أعوانًا، وضمير المتكلم يعود على الله عز وجل، وقرأ أبو جعفر (وما كنتَ) بتاء الخطاب أي ما كنت يا محمد متخذ المضلين أعوانًا وأنصارًا.

وننبه هنا إلى تحريف الشيعة لكتاب الله عز وجل حين افتروا قراءة مكذوبة فقرؤوا (المضلين) بالتثنية، ويعنون بهما أبا بكر وعمر رضي الله عنهما.

٥. قوله تعالى: (لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ) (النحل: ٦٢)، ومعنى مفرَطون: مخلفون متروكون في النار، منسيون فيها، وقرأ نافع (مفرِطون) بكسر الراء وتخفيفها، والمعنى: مفرطون في الذنوب والمعاصي، مسرفون على أنفسهم، مجاوزون الحد في الطغيان، وقرأ أبو جعفر بكسر الراء وتشديدها وهو اسم فاعل من فرط في الأمر إذا قصَّر فيه، والمعنى أنهم مقصرون في حق أنفسهم وفي طاعة الله.

أثر القراءات في علم الاعتقاد:

١. قوله تعالى: (فَاللَّهُ خَيْرٌ حَفِظًا) (يوسف: ٦٤)، فيها قراءتان (حفظًا، وحافظًا) ومن قراءة (حافظا) نثبت لله عز وجل اسمًا من الأسماء الحسنى هو الحافظ.

٢. قوله تعالى: (بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ) (الصافات: ١٢)، قرأ حمزة والكسائي وخلف بضم التاء في (عجبت) والباقون

بفتحها، وفي قراءة الضم إثبات صفة العجب لله عز وجل على ما يليق به سبحانه، قال ابن جرير الطبري رحمه الله: (قد عجب محمد مما أعطاه الله من الفضل، وسخر منه أهل الشرك بالله، وقد عجب ربنا من عظيم ما قاله المشركون في الله، وسخر المشركون بما قالوه).

٣. قوله تعالى: (وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ) (التكوير: ٢٤)، فيه قراءتان (بضنين، وبظنين)، فيجب على المسلم اعتقاد سلامة النبي صلى الله عليه وسلم من الضنّ بالغيب فهو لم يكتم شيئًا مما أوحاه الله إليه، ويعتقد سلامته من الظن بالغيب فهو لم يتلقاه ظانًا أو واهمًا أو شاكًا، بل تلقاه بيقين.

أثر القراءات في علم الفقه:

كان الفقهاء رحمهم الله يهتمون بعلم القراءات تعلمًا واستنباطًا لأحكام الفقه منها، ومتى ثبتت القراءة فالعمل بها واجب، ومن الأمثلة التي توضح أثر القراءات في الأحكام الفقهية:

١. قوله تعالى (فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ) (البقرة:٢٢٢)، وفيها قراءتان متواترتان: (يطهرن) بإسكان الطاء وضم الهاء والمعنى زوال أثر الدم، و(يطّهّرن) بتشديد الطاء والهاء وفتحهما على معنى التطهير بالماء وهو الغسل، واختلاف الفقهاء في معنى الطهر الذي تحل به المرأة لزوجها بعد انقضاء الحيض مبني على المعنى المستنبط من القراءتين.

٢. قوله تعالى: (وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى) (البقرة: ١٢٥)، قرأ نافع وابن عامر بفتح الخاء في (واتخذوا) على الخبر فهو إخبار عمن سبقنا من المؤمنين أنهم اتخذوا من مقام إبراهيم مصلى، وقرأ الباقون بكسر الخاء على الأمر، وهنا ينبني خلاف الفقهاء في الصلاة خلف المقام هل هي سنة أم واجبة؟

٣. قوله تعالى: (وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ) (النساء: ٤٣)، وفيها قراءتان متواترتان: الأولى بغير ألف (لمستم)، والأخرى بالمد (لامستم) وهنا يختلف الفقهاء في المعنى المراد من اللمس هل هو المباشرة أو الجماع؟ وهل المباشرة دون الجماع ناقضة للوضوء؟

أثر القراءات في علم النحو:

اختلف موقف النحاة من القراءات فمنهم من استشهد بها ومنهم من انتقد بعضًا منها إن خالفت قواعده وأقيسته، والحق أن القراءة الثابتة حجة في نفسها تؤخذ منها اللغة، وتبنى عليها، قال الإمام الداني رحمه الله: (وأئمة القراءة لا تعمل في شيء من حروف القرآن على الأفشى في اللغة والأقيس في العربية، بل على الأثبت في الأثر، والأصح في النقل، وإذا ثبتت الرواية لم يردها قياس عربية، ولا فشو لغة؛ لأن القراءة سنة متبعة يلزم قبولها والمصير إليها).

ومن مظاهر تأثر النحو بالقراءات:

١. بناء قواعد عامة مأخوذة من القراءات، مثل قاعدة نصب الفعل المضارع المقترن بفاء السببية بعد الرجاء، وقد أخذت من قراءة حفص لقوله تعالى: (لعلى أبلغ الأسباب أسباب السموات فأطلع إلى إله موسى) (فاطر: ٣٦-٣٧)، بنصب (أطلع)، وقاعدة جواز الوقف على الاسم المنقوص بإثبات الياء، وقد أخذت من قراءة ابن كثير لقوله تعالى (وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ) (الرعد: ٧) بإثبات الياء وقفًا.

٢. تأييد القراءات لقواعد نحوية، مثل قاعدة رفع الفعل المضارع الدال على الحال بعد (حتى)، وقد أيدتها قراءة نافع لقوله تعالى (وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ) (البقرة ٢١٤) برفع (يقول).

٣. قراءات ترتبت عليها وجوه إعرابية في الآية الواحدة، مثل قوله تعالى (وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ) (البقرة: ٢١٩)، قرأ أبو عمرو برفع (العفو) على أنه خبر لمبتدأ محذوف، والتقدير: الذي تنفقونه العفو، وقرأ الباقون بنصب (العفو) على أنه مفعول به، وتقدير الكلام: يسألونك أي شيء ينفقون، قل ينفقون العفو.

علم توجيه القراءات:

وهو علم غايته بيان وجوه القراءات ومعرفة مستندها من اللغة ورد الاعتراضات التي يوردها بعض علماء اللغة، وله مصطلحات مترادفة مثل التعليل، والتخريج، والتأويل، والإيضاح.

وكانت مسائل هذا العلم منثورة في كتب اللغة والتفسير ومعاني القرآن، وكان لابن جرير الطبري دور كبير في تتبع القراءات في تفسيره والاحتجاج لها وبيان معانيها، ثم أفردت مصنفات في هذا العلم منها: كتاب الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي، والكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها لمكي بن أبي طالب، والحجة لابن خالويه، وحجة القراءات لابن زنجلة، والموضح في القراءات الثماني وعللها لابن أبي مريم الشيرازي.

وللحديث بقية إن شاء الله، ونسأل الله أن يفقهنا في ديننا ويصلح أحوالنا أجمعين.

الابتسامة سر السعادة

إعداد/ صلاح عبد الخالق

الحمد لله الرحيم الرحمن، والصلاة والسلام على النبي البسام، وبعد:

فالابتسامة شعارٌ من شعائر الأنبياء، وسُنَّة من سنن المرسلين، وصفة من صفات المؤمنين، وسمة نبيلة من سمات النبلاء، ولغة سامية من لغات الحضارة البشريَّة، بالابتسامة تتخلص من العقد النفسية والأمراض البدنية وتشعر بالسعادة، وتزيد في الطاعة والعبادة، وتنشر المودة وتنتشر المحبة وتكثر من الحسنات، وتتخلص من السيئات، وتثقل الموازين وتكون في صحبة النبيين في جنة رب العالمين.

لا شك أن المسلم في حياته تعتريه أكدار وهموم وأحزان وغموم، مما يحتاج حقيقةً إلى من يجلو حلكتها، ويخترق ظلمتها بشيء من الابتسامة الرفيعة والضحكة المتزنة والدُعابة المرموقة.

التبسم من الفرائض الغائبة:

هناك فرائض غائبة عن المسلمين منها: تبسم المسلم في وجه أخيه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

تبسمك في وجه أخيك صدقة

فالتبسم فريضة غائبة، وكأن كثيراً من الناس يظنون أن الفقهاء يقولون-وما قال بها فقيه-: إن أسنان الإنسان عورة، وهذا غلط، فإننا نريد أن نراها وهي جميلة، فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم بسام المحيا، وكان لا يغضب إلا إذا انتهكت حرمة من حرمات الله، فكان في شتى الأوقات يلقى الصحابة بوجه طلق مبتسم. (دروس الدكتور عمر عبد الكافي: ٢٠/٧).

تعريف التبسم:

قَالَ أَهْلُ اللُّغَةِ: التَّبَسُّمُ مَبَادِئُ الضَّحِكِ وَالضَّحِكُ انْبِسَاطُ الْوَجْه حَتَّى تَظْهَرَ الأَسْنَانُ مِنَ السُّرُورِ، فَإِنْ كَانَ بِصَوْتٍ وَكَانَ بِحَيْثُ يُسْمَعُ مِنْ بُعْدٍ فَهُوَ الْقَهْقَهَةُ، وَإِلاَّ فَهُوَ الضَّحِكُ، وَإِنْ كَانَ بِلاَ صَوْتٍ فَهُوَ التَّبَسُّمُ وَتُسَمَّى الأَسْنَانُ فِي مُقَدَّمِ الْفَمِ الضَّوَاحِكَ وَهِيَ الثَّنَايَا وَالأَنْيَابُ وَمَا يَلِيهَا وَتُسَمَّى النواجذ. (فتح الباري ١٠/٥٠٤).

الابتسامة من أخلاق الأنبياء:

١- قال تعالى حكاية عن سليمان عليه السلام: «فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ» (النمل: ١٩).

فهذا حال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام الأدب الكامل، والتعجب في موضعه وأن لا يبلغ بهم الضحك إلا إلى التبسم، كما كان الرسول صلى الله عليه وسلم جلَ ضحكه التبسم، فإن القهقهة تدل على خفة العقل وسوء الأدب. وعدم التبسم والعجب مما يتعجب منه، يدل على شراسة الخلق والجبروت. والرسل منزهون عن ذلك. (تفسير السعدي ١/٦٠٢).

٢- قال تعالى: «فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ» (الأحقاف: ٣٥).

عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاص، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلاَءً؟ قَالَ: «الأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ، فَيُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ دِينُهُ صُلْبًا اشْتَدَّ بَلاَؤُهُ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَمَا يَبْرَحُ الْبَلاَءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي

عَلَى الأَرْضِ مَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ» (سنن الترمذي: ٢٣٩٨٩).

وقد ذاق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم جميع أنواع الابتلاءات والمحن حتى قبل أن يُولد وطوال حياته إلى مماته ومع ذلك كان أكثر الناس تبسمًا.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ جَزْءٍ، قَالَ: «مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَكْثَرَ تَبَسُّمًا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» (صحيح الترمذي: ٣٦٤١).

الاقتداء بالأنبياء في التبسم:

قال تعالى: «لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا» (الأحزاب: ٢١).

هَذِهِ الآيَةُ الْكَرِيمَةُ أَصْلٌ كَبِيرٌ فِي التَّأَسِّي بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ وَأَحْوَالِهِ. (تفسير ابن كثير: ٦/٣٩١).

علمنا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

١- التبسم عند اللقاء:

عَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: قَالَ لِيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لاَ تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ» صحيح مسلم (٢٦٢٦).

وعَنْ جرير قَالَ: وَلاَ رَآنِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلاَّ تَبَسَّمَ فِي وَجْهِي. صحيح البخاري (٦٠٨٩).

٢- التبسم عند الكلام:

عَنْ أَبِي جُرَيٍّ جَابِرِ بْنِ سُلَيْمٍ، قَالَ: قَالَ رسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَلاَ تَحْقِرَنَّ شَيْئًا مِنَ الْمَعْرُوفِ، وَأَنْ تُكَلِّمَ أَخَاكَ وَأَنْتَ مُنْبَسِطٌ إِلَيْهِ وَجْهُكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنَ الْمَعْرُوفِ. سنن أبي داود (٤٠٨٤) وصححه الألباني.

(ولا تحقرن) أي: لا تستصغرن يقال حقره واحتقره واستصغره قال الزمخشري: تقول أي العرب هو حقير فقير وفي المثل من حقر حرم. فيض القدير(١/١٢١).

إن الشريعة العظيمة تحث وتدعو المسلم إلى أن يفعل الخير أكثره وأقله ما استطاع ولا يحتقر شيئاً من الخير يصنعه فكل خير يُثاب عليه، وما دام الثواب موجوداً فينبغي ألا يستقل فعل شيء من أمور الخير. (شرح الترغيب والترهيب، أحمد حطيبة: ٣٧/٢).

> إن الشريعة الإسلامية تدعو المسلم إلى أن يفعل الخير أكثره وأقله ما استطاع ولا يحتقر شيئاً من الخير يصنعه.

من فضائل وفوائد التبسم:

من فوائد التبسم في الدنيا:

أولاً: من الفوائد الطبية للتبسم:

أ- من الفوائد الطبية ممَّا ذكره الأطباء ٢٣ فائدة منها:

١- أنَّها تساعد على تخفيف ضغط الدَّم.

٢- وتنشط الدَّورة الدَّموية.

٣- وتزيد من مناعة الجسم.

٤- تُساعد المخّ على الاحتفاظ بكَميَّة كافية من الأوكسجين.

٥- لها آثار إيجابيَّة على وظيفة القلب والبَدَن والمخ.

٦- تخفف من حُموضة المعدة.

٧- تزيد من إفرازات الغُدد الصَّمَّاء.

٨- تؤخر عوارض الشَّيخوخة، إلى غير ذلك ممَّا هو ليس بمستغرب على كلِّ سنة أمرنا بها الرسول صلَّى الله عليه وآله وسلَّم مما فيه صلاحُ قلوبنا وأرواحنا وأبداننا. (أرشيف أهل الحديث ٥- ١٢٢/ ٨٤).

ب- هل تعلم أن وجهك يوجد فيه ٨٠ عضلة، وبمجرد أن تبتسم فقط فإنك تستخدم ١٤ عضلة، وكل عضلة في الوجه مرتبطة بخلايا عقلية، والخلايا العقلية في المخ تريح الجسم، فعندما تبتسم يرتاح الوجه ويسترخي، وبالتالي يسترخي المخ، وعندما يسترخي المخ يسترخي الجسم كله، وبالتالي تزداد كمية الأدرينالين في الجسم.. وماذا تعني زيادة الأدرينالين؟ إن الأدرينالين هو المادة التي تزيد من قوة جهاز المناعة في الجسم. (الطريق إلى الامتياز: ١٨٧٢).

ثانيًا: نشر السعادة والمودة بين الناس:

أ- قال ابن عيينة: «البشاشة مصيدة المودة، والبر شيء هيِّن؛ وجه طليق وكلام ليِّن». (فيض القدير:

٢٢٦/٣).

ب- طلاقة الوجه (التبسم) تدخل السرور على من قابلك. وعلى من اتجه لك، وتجلب المودة والمحبة، وتوجب انشراح القلب، بل توجب انشراح الصدر منك وممن يقابلك، وجرب تجد، لكن إذا كنت عبوساً فإن الناس ينفرون منك، ولا ينشرحون بالجلوس إليك، ولا بالتحدث معك، وربما تصاب بمرض خطير يسمى بالضغط، فإن انشراح الصدر وطلاقة الوجه من أكبر العقاقير المانعة من هذا الداء داء الضغط؛ ولهذا فإن الأطباء ينصحون من ابتلي بهذا الداء بأن يبتعد عما يثيره ويُغضبه؛ لأن ذلك يزيد في مرضه، فطلاقة الوجه تقضي على هذا المرض؛ لأن الإنسان يكون منشرح الصدر، محبوباً إلى الخلق. (مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين: ٥٠٢/٢٦).

ثالثًا: حل كثير من مشاكل الناس:

كما أن الابتسامة تولّد جوًّا من الراحة النفسية في البيت والعمل والشارع، وتحل كثيرًا من مشاكل الناس، وتزيد الألفة والمحبة بين الناس. واجبات العمال وحقوقهم (٨٠/١).

الابتسامة تولّد جوًّا من الراحة النفسية في البيت والعمل والشارع، وتحلُّ كثيرًا من مشاكل الناس، وتزيد الألفة والمحبة بين الناس.

من فضائل التبسم يوم القيامة:

كم عدد الصدقات التي تجمعها من التبسم؟!

إنَّ تبسُّمك صَدَقة تتصدق بها على الفقير والغني، على الشريف والوضيع، على من يستحقّ ومن لا يستحقّ؛ قال- صلى الله عليه وآله وسلم-: «تبسُّمك في وجه أخيك صَدَقة»؛ فبادرْ بهذه الصدقة التي لا تكلفك شيئًا، وإلاَّ فلا بخل أشدّ من بُخلك، ولا لؤم أكبر من لُؤمك؛ إذ بَخلْت بشدِّ عضلة وجهك إرضاءً لربك، وتطبيقًا لسنة نبيِّك. (دروس للشيخ سعيد بن مسفر: ١٧/٢٢).

أولاً: في ظل صدقتك:

عَنْ مَرْثَدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ: حَدَّثَنِي بَعْضُ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ ظِلَّ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَدَقَتُهُ». رَوَاهُ أَحْمد (١٨٠٤٣) صححه الألباني في المشكاة (١٩٢٥).

إِنَّ الأَصْلَ أَنَّ الصَّدَقَةَ كَالظِّلِّ فِي أَنَّهَا تَحْمِيهِ عَنْ أَذَى الْحَرِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَالأَظْهَرُ أَنَّ مَعْنَاهُ ظِلُّ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَدَقَتُهُ أَيْ: إِحْسَانُهُ إِلَى النَّاسِ، وَهُوَ إِمَّا هُوَ أَنْ تَجَسَّدَ صَدَقَتُهُ أَوْ يُجَسَّمَ ثَوَابُهَا وَقَدْ تُخَصَّصُ الصَّدَقَةُ بِمَا لَهَا ظِلٌّ حَقِيقِيٌّ كَثَوْبِ الْخَيْمَةِ كَمَا وَرَدَ فِي بَعْضِ الأَخْبَارِ. مرقاة المفاتيح (١٣٤٩/٤).

ثانيًا: التبسم يزيد الحسنات ويثقل الموازين:

قال تعالى: «وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» (الأعراف: ٨). أَيْ: مَنْ رَجَحَتْ حَسَنَاتُهُ عَلَى سَيِّئَاتِه وَلَوْ بِوَاحِدَة، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاس. «فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» أي: الَّذِينَ فَازُوا فَنَجَوْا مِنَ النَّارِ وَأُدْخِلُوا الْجَنَّةَ. تفسير ابن كثير (٤٩٦/٥).

وقال تعالى: «فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ» (القارعة: ٦- ٧). معنى (عيشة راضيَة) أَيْ عَيْش مَرْضِيٍّ، يَرْضَاهُ صَاحِبُهُ. فَالْعِيشَةُ كَلِمَةٌ تَجْمَعُ النِّعَمَ الَّتِي فِي الْجَنَّةِ. تفسير القرطبي (١٦٦/٢٠).

ثالثًا: مع أهل النعيم في الجنة:

قال تعالى: «وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عَلِيمًا» (النساء: ٦٩- ٧٠).

إنها اللمسة التي تستجيش مشاعر كل قلب، فيه ذرة من خير وفيه بذرة من صلاح وفيه أثارة من التطلع إلى مقام كريم في صحبة كريمة، في جوار الله الكريم.. وهذه الصحبة لهذا الرهط العلوي.. إنما هي من فضل الله. فما يبلغ إنسان بعمله وحده وطاعته وحدها أن ينالها.. إنما هو الفضل الواسع الغامر الفائض العميم. (في ظلال القرآن: ٦٩٩/٢).

نسأل الله أن يرزقنا أحسن الأخلاق والأعمال.

والحمد لله رب العالمين.

القرآن شفاء ورحمة



الحلقة الثانية

إعداد/ عبد الرزاق السيد عيد

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعدُ:

أخي القارئ الكريم في اللقاء الماضي تحدثنا عن قول الحق تبارك وتعالى: « وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا » (الإسراء:٨٢).

وهناك أوضحنا بما تيسر كيف يكون القرآن شفاءً لصدور المؤمنين بهدايتهم إلى الصراط المستقيم، وتعريفهم بربهم عز وجل، والطريق الموصلة إليه، وإخراجهم من ظلمات الجهل إلى نور العلم، ومن ظلمات الكفر والشرك إلى نور الإيمان والتوحيد، فالشرك أظلم الظلم، والتوحيد أعدل العدل، لذلك لا يزداد المعرض عن القرآن إلا بُعدًا وخسارًا.

إن القرآن هدًى وشفاء ورحمة بمعنى عام وبمعنى خاص، وقد ذكر الله ذلك فهو هدى للعالمين بالمعنى العام، وهو إقامة الحجة على الخلق جميعًا، فمن اهتدى فلنفسه، ومن ضل فعليها، والقرآن موعظة للمتقين، وهدى للمتقين الذين آمنوا به واتبعوه، وكذلك شفاء للعالمين بالمعنى العام وشفاء للمؤمنين فهو نفسه هدى ورحمة وشفاء وموعظة، وهو نجاة من فتنة الشهوات والشبهات، من اهتدى به واتعظ كان بمنزلة من استعمل الدواء الذي به الشفاء، ومن أعرض فقد ترك مصدر شفائه ورحمته وهدايته، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

والناس أمام القرآن وآياته صنفان كما أخبر ربنا عز وجل، « فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ » (التوبة: ١٢٤- ١٢٥).

وهؤلاء كمثل الأرض التي يصيبها الغيث النازل من السماء، فالأرض الغليظة العالية التي لا تمسك ماءً ولا تنبت كلأ، فلا هي قابلة للماء ولا للنبات، مع أن الماء في نفسه رحمة وحياة، ولكنه في هذه الأرض لا قبول له ولا انتفاع به، بخلاف ما يحدث مع الأرض الطيبة للذين ينتفعون بالقرآن، والمعرضون فيهم آفات الكبر والإعراض، فلو سمعوا لم ينقادوا ولم يتبعوا الحق ولم يعملوا به، وهؤلاء يكون القرآن إقامة حجة لا هدى توفيق وإرشاد فلم يتصل الشفاء في حقهم بالرحمة، وأما المؤمنون: فاتصل الشفاء والهدى في حقهم

بالرحمة فصار للمؤمنين هدى وشفاء ورحمة. ونحن نتحدث اليوم عن كون القرآن رحمة للمؤمنين نسوق حديثنا بعون الله وتوفيقه في المحاور التالية:

أولاً: التعريف بالرحمة:

المحور الأول: والرحمة صفة من صفات المولى عز وجل، ويكفي أن الله سبحانه افتتح به كتابه فقال سبحانه: «ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ» (الفاتحة: ٢-٣)، فهو سبحانه الموصوف بالرحمة، وهو الذي يرحم خلقه، فالرحمن وصفه والرحيم فعله، تباركت أسماؤه وأفعاله، فإن رحمته شملت الوجود وعمت الملكوت، فحيثما أشرق شعاع من علمه المحيط بكل شيء أشرق معه شعاع للرحمة الغامرة، ولذلك تقول الملائكة في دعائها: «رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا» (غافر:٧).

ويقول ابن القيم رحمه الله: «فوسعت رحمته كل شيء، وبلغت رحمته حيث بلغ علمه». اهـ من كتاب الصلاة وحكم تاركها.

ويقول رحمه الله: «وأنت لو تأملت العالم بعين البصيرة لرأيته ممتلئًا بالرحمة كامتلاء البحر بمائه والجو بهوائه». مختصر الصواعق المرسلة.

ويقول أيضًا في مدارج السالكين: «الرحمة سبب واصل بين الله عز وجل وبين عباده بها أرسل إليهم رسله، وأنزل عليهم كتبه، وبها هداهم، وبها يسكنهم دار ثوابه، وبها رزقهم وعافاهم وأنعم عليهم، فبينهم وبينه سُنة العبودية منهم، ومنه سبحانه سبب وهو الرحمة». اهـ بتصرف يسير.

ويقول أيضًا: «فانظر إلى ما في الوجود من آثار رحمته الخاصة والعامة، فبرحمته أرسل إلينا رسوله-صلى الله عليه وسلم-، وأنزل علينا كتابه، وعلمنا من الجهالة، وهدانا من الضلالة، وبصرنا من العمى، وأرشدنا من الغي، وبرحمته عرّفنا من أسمائه وصفاته وأفعاله ما عرّفنا به أنه ربنا ومولانا، وبرحمته علمنا ما لم نكن نعلم، وأرشدنا لمصالح ديننا ودنيانا، وبرحمته أطلع الشمس والقمر، وجعل الليل والنهار، وبسط الأرض وجعلها مهادًا وفراشًا وقرارًا وكفاتًا للأحياء والأموات، وبرحمته أنشأ السحاب وأمطر المطر، وأطلع الفواكه والأقوات والمرعى، ومن رحمته سخر لنا الخيل والإبل والأنعام، وذللها منقادة للركوب والحمل والأكل، وبرحمته وضع الرحمة بين عباده ليتراحموا بها، وكذلك بين سائر أنواع الحيوان، فهذا التراحم الذي بينهم بعض آثار الرحمة التي هي صفته ونعمته، واشتق لنفسه منها اسم الرحمن الرحيم، وأوصل إلى خلقه معاني خطابه برحمته، وبصرهم ومكن لهم أسباب مصالحهم برحمته..». اهـ مختصر الصواعق المرسلة.

وقال رحمه الله: «ومن أعطى اسم (الرحمن) حقَّه: عرف أنه متضمن لإرسال الرسل وإنزال الكتب أعظم من تضمنه إنزال الغيث وإنبات الكلأ والحب فاقتضاء الرحمة لما تحصل به حياة القلوب والأرواح: أعظم من اقتضاؤه لما تحصل به حياة الأبدان والأشباح». اهـ من مدارك السالكين.

ولأن الله سبحانه هو الرحمن الرحيم أنزل كتاب رحمة وقال سبحانه: «حمٓ ۝ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ» (فصلت: ١-٢).

وقال تعالى: «ٱلرَّحْمَٰنُ ۝ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ» (الرحمن: ١، ٢).

وقال تعالى: «وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ» (النحل: ٨٩).

وقال تعالى: «وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا» (الإسراء:٨٢).

والآيات في هذا الباب كثيرة، فالله الرحمن الرحيم أنزل كتابه رحمة وبعث رسوله رحمة، وقال سبحانه: «وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ» (الأنبياء:١٠٧).

فكل نبي أرسل رحمة لقومه وإنما أرسل الله محمدًا صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين عربهم وعجمهم إنسهم وجنهم، فقال صلى الله عليه وسلم: «يا أيها الناس إنما أنا رحمة».

أخرجه الحاكم من حديث أبي هريرة وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٣٤٥).

فالنبي صلى الله عليه وسلم رحمة لكل الناس، فمن قبلها من الناس فهو الفائز، ومن ردَّها فذلك هو الخسران المبين، فإن الله سبحانه أرسل رسوله يمسح آلام البشر بل والجن أيضًا، ويخفف الأحزان ويشفق على العصاة، ويدعو الله لهدايتهم، وينصر الضعيف، ويخضد شوكة القوي، يرده عن غيه أحيانًا، أرسل الله محمدًا صلى الله عليه وسلم وغمر قلبه بالعلم والنور والهداية ما يسع الناس جميعًا وجعله على خلق عظيم ما جعله أكثرهم رحمة وأوسعهم عاطفة وأرحبهم صدرًا، قال الله تعالى: «فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ» (آل عمران:١٥٩)، فالله الرحمن الرحيم أنزل كتابه رحمة وأرسل رسوله صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين.

المحور الثاني: من معاني الرحمة في القرآن الكريم:

أولاً: ورد لفظ الرحمة في القرآن الكريم في ثمانية وستين ومائتين موضعًا (٢٦٨) وأكثر وروده بصيغة الاسم مثل (الرحمن الرحيم) وورد في أربعة عشر موضعًا بصيغة الفعل، مثل: «قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ» (الأعراف: ١٤٩).

ثانيًا: وأطلق لفظ (الرحمة) في القرآن وأريد به معاني كثيرة منها:

ما جاء بمعنى صفة المولى عز وجل مثل قوله تعالى: «وربك الغني ذو الرحمة» (الأنفال: ١٣٣)، والرحمة بمعنى الجنة كما في قوله تعالى: «أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ» (البقرة:٢١٨)، والرحمة بمعنى الإسلام والنبوة والرسالة، والقرآن كما جاء في قوله تعالى: «وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِ» (هود: ٢٨)، وقوله تعالى: «وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ» (البقرة: ١٠٥)، وقوله تعالى: «قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا» (يونس: ٥٨).

وقد تأتي (الرحمة) ويراد بها المطر كما في قوله تعالى: «وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ» (الأعراف: ٥٧)، وفي قوله تعالى في سورة الروم: «فَانظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ» (آية: ٥٠).

والرحمة بمعنى النعمة والرزق في قوله تعالى: «قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنفَاقِ» (الإسراء: ١٠٠)، وقوله تعالى: «مَّا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا» (فاطر: ٢).

وتأتي بمعنى الخير والنصر والعافية كما في قوله تعالى في سورة الأحزاب «قُلْ مَن ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُم مِّنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً» (آية: ١٧)، وتأتي بمعنى (المغفرة والعفو) كما في قوله تعالى: «كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ» (الأنعام: ٥٤)، وكذلك قوله تعالى: «قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ» (الزمر: ٥٣)، وقد تأتي بمعنى الوقاية من المعاصي كما في قوله تعالى: «إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي» (يوسف: ٥٣).

وقد تأتي بمعنى استجابة الدعاء كما في قوله تعالى: «ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا» (مريم: ٢)، وقد أتي بمعنى المودة والتعاطف بين المؤمنين كما جاء في وصف النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين في قوله تعالى: «مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ» (الفتح:٢٩)، وبعد هذا البيان لمعاني الرحمة في القرآن، فالمؤمنون به لهم نصيب من رحمة الله بقدر تطبيقهم للقرآن عقيدةً وشريعة وأخلاقًا.

المحور الثالث: منابع الرحمة في القرآن:

أولاً: تفيض أنهار الرحمة في القرآن الكريم من ينابيع الهداية التي يسوقها القرآن إلى المؤمنين به بين آياته البينات، واقرأ معي إن شئت قول الحق تبارك وتعالى: «قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ

«وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ» (المائدة:١٥، ١٦).

ولذلك قرن الله في كتابه بين الهدى والرحمة فقال سبحانه على لسان الراسخين في العلم أصحاب العقول السليمة الذين آمنوا بالقرآن كله محكمه ومتشابهه وردوا المتشابه إلى الحكم وعملوا به وخافوا الزيغ فلهجوا في الدعاء والتضرع إلى الله: «رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ» (آل عمران:٨)، وقال سبحانه على لسان الفتية الذين راموا الحق وفروا بدينهم من فتنة الشبهات والشهوات التي كانت تلاحقهم أينما ذهبوا فقالوا بصدق ويقين: «رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا» (الكهف:١٠).

ونحن إذا تأملنا القرآن وتدبرناه نجد أن الله سبحانه وتعالى يدعو عباده إلى دار رحمته (الجنة)، ويهدي إلى طريقها من آمن بالله واليوم الآخر واقرأ في قوله تعالى: «وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ» (يونس:٢٥)، وقال بعدها مباشرة: «لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ» (يونس:٢٦)، وإن الله سبحانه برحمته أرسل الرسل وأنزل الكتاب جميع الكتب وأنزله وسماه الفرقان وجعله مهيمنًا على ما سبق من كتب الأنبياء السابقين، أنزله الله على جبريل عليه السلام الرسول الملكي ليعلمه الرسول الإنسي النبي الأمي ليكون رحمة وهداية للعالمين، ولتعريفهم بربهم سبحانه بأسمائه وصفاته، وكيفية عبادته لينقلهم برحمته من الجهالة إلى الرشد، ومن الضلالة إلى الهدى، ومن الظلمات إلى النور، ومن الشقاء إلى السعادة، ومن النار إلى الجنة، فسبحانه أرحم الراحمين الذي وسعت رحمته كل شيء في الدنيا وادخره في الآخرة لعباده الصالحين.

وتأمل قول الحق تبارك وتعالى: «قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ» (الأعراف:١٥٦)، فهذه الآية الكريمة أشارت إلى رحمة الله التي وسعت كل شيء في الدنيا وخصها في الآخرة للذين آمنوا بهذا الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم، وقد نصت الآية التي بعدها على ذلك صراحة فقال تعالى: «الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» (الأعراف:١٥٧).

المحور الرابع: موجبات الرحمة:

أشار الله سبحانه في الآيتين السابقتين من سورة الأعراف إلى رحمة الله في الدنيا وإلى رحمته في الآخرة، وإلى موجباتها، وتتلخص أهم موجباته في الإيمان والتقوى وعمل الصالحات واتباع النبي الأمي الذي ختم الله به النبوة، وتمت به الرسالات صدقًا وعدلاً وبشرت به كل الكتب السابقة، وبخاصة التوراة والإنجيل على لسان موسى وعيسى عليهما السلام، وقد جاء تأكيد هذا المعنى في أكثر من موضع من القرآن الكريم، فقال سبحانه: «قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ» (النور:٥٤)، وقال تعالى: «وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ» (النور:٥٦).

ومن موجبات الرحمة كذلك: تحقيق الأخوة الإيمانية، وإصلاح ذات البين في إطار تقوى الله، قال سبحانه: «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ» (الحجرات:١٠)، وموجبات الرحمة في القرآن لمن تدبر وتكتب ما قدمنا ففيه غنية لمن اهتدى.

اللهم إنا نسألك موجبات رحمتك، وعزائم مغفرتك، والغنيمة من كل بر، والسلامة من كل إثم، والفوز بالجنة، والنجاة من النار، اللهم نسألك رحمة من عندك تهدي بها قلوبنا، وتجمع بها أمرنا، وتزكي بها عملنا، وتلهمنا بها رشدنا، وتعصمنا بها من كل سوء.

نتيجة مسابقة البحوث الإسلامية

يسر إدارة الدعوة وشؤون التعليم أن تعلن أسماء الفائزين في مسابقة البحوث الإسلامية، وهم:

م	الاسم	البحث	الترتيب	الجائزة
١	محمد علي أحمد عبد الله	الوسطية في الإسلام بين أهل الغلو وأهل الجفاء	الأول	عمرة
٢	أحمد أنور أحمد عيسى		الثاني	٣ آلاف جنيه
٣	عماد الدين صلاح عبد الخالق محمد		الثالث	ألفا جنيه
٤	نصرة محمد عبد الله حماد		الرابع	ألف جنيه
٥	عبد الفتاح زكريا بحيري		الخامس	ألف جنيه
٦	عبد المجيد إبراهيم حسب الله		الخامس مكرر	ألف جنيه
٧	أحمد رأفت رجب سرحان	التربية العبادية وأثرها على الفرد والمجتمع	السادس	مكتبة إسلامية
٨	جهاد صلاح الدين محمود السعيد	الوسطية في الإسلام بين أهل الغلو وأهل الجفاء	السابع	مكتبة إسلامية
٩	أحمد عبد الفتاح سيف الدين		الثامن	مكتبة إسلامية
١٠	لبيب عثمان لبيب	الهجمة على ثوابت الدين	التاسع	مكتبة إسلامية
١١	محمد سالم إبراهيم عيلة	الوسطية في الإسلام بين أهل الغلو وأهل الجفاء	العاشر	مكتبة إسلامية

ويمنح باقي المتسابقين شهادة تقدير، بالإضافة إلى جائزة تشجيعية، وهم:

١- طلحة أحمد عبد الفتاح سيف الدين.
٢- حمادة محمد محمد عوض.
٣- أم فاطمة رضا محمود أحمد حسين.
٤- أيمن حسن فكري.
٥- عيد أحمد فؤاد.
٦- عباس محمد حسين سابق.
٧- محمد نصر الدين حسين عراقي.
٨- راضي إسماعيل محمد إبراهيم.
٩- إيمان عبد الله إسماعيل.
١٠- نبيل محمد محمود محمد.
١١- محمد عطية محمود محمود.
١٢- أحمد ناصر علي السيد.
١٣- أمل علي عبد الرحمن.
١٤- تهاني عبد الحميد محمود.
١٥- عبد الحكيم حسام الدين أحمد.
١٦- عماد محمد أحمد.
١٧- آية أسامة عبد العزيز.
١٨- ماجدة حمودة سالم عياد.
١٩- أحمد السيد محمد علي.
٢٠- نجلاء محمد محمود محمد.
٢١- السيد علي أحمد الصوري.

تسلم الجوائز بداية من يوم الأحد ١٥ من شوال ١٤٣٨هـ الموافق ٩ يوليو ٢٠١٧م.

والله ولي التوفيق.

مدير إدارة الدعوة وشؤون التعليم

محمد عبد العزيز